اليهود

ليسوا تجاراً بالنشأة ..

تأليف

الدكتور حسن ظاظا

أستاذ الدراسات العبرية بكلية الآداب
جامعة الإسكندرية

السيد محمد عاشور

بكالوريوس كلية التجارة (القاهرة)
وتاجر أقمشة بالحمزاوى

١٩٧٥

شكر

يتقدم المؤلفان : دكتور حسن ظاظا ، والسيد محمد عاشور ، بتقديم الشكر إلى كل من المهندسين : حسين محمود الجبالى ، ومحمد وائل مصطفى عاشور ، ومالك حسن ظاظا على ما قاموا به من حسن تنظيم واختيار غلاف هذا الكتاب .

المؤلفان

دار الاتحاد العربي للطباعة

لصاحبها : محمد عبد الرازق

[illegible] كنيسة الأرمن ش الجيش

تليفون : [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ » .

النساء (٢٩)

« إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ » .

فاطر (٢٩)

[تِسْعَةُ أَعْشَارِ الرِّزْقِ فِي التِّجَارَةِ]

حديث نبوي شريف

00540

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم

محمود جعفر الجبالى

مدير عام للمؤسسة الاستهلاكية العامة — سابقاً

التجارة قديمة ، قدم المجتمع البشرى نفسه : فلم يكن هناك (مجتمع) قام فعلا ، إلا على أساس من التجارة : تبادل السلع والحاجات ، وتبادل الخدمات . وطبيعى أن تتطور التجارة مع تطور المجتمع البشرى ، وتدرجه فى معارج المدينة وسلم الحضارة . فانتلقت من صورها البدائية من مبادلة أو مقايضة إلى اتخاذ معدنى الذهب والفضة ـ نقداً ـ كان أساساً للقيم أو مقياساً لها ، كما انتقلت من أسواق محلية . . إلى أسواق عالميـــة تحكمها (البورصات) التى تنظم التعامل فى مختلف السلع والحاصيل . . كذلك تطورت صور الملكية التجارية من ملكية فردية إلى شركات أشخاص وشركات أموال واحتكارات حكومية وغير حكومية . . وعلى مسيرة هذا التطور برزت شعوب وتميزت أمم بمقدرات خاصة ومهارات كبيرة فى ميادين التجارة . وقد ساعدتها فى ذلك خصائص معينة أدت بها إلى زيادة ثرواتها واتساع سلطانها وانتشار حضارتها حسبما شرحه لنا المؤلفان فى بداية هذا الكتاب .

على أن مما يستلفت النظر حقاً هو أن (اليهود) من بين الأمم القديمة لم يعرف عنهم شىء من النشاط التجارى عبر التاريخ القديم . . بقدر ما اشتهروا فى العصور الوسطى بممارسة الاتجار فى (النقود) أو الإقراض بالربا . .

وهو من عيوب الإنسانية الشاذة ، وقد أنكرته الأديان السماوية جميعاً ، ومع ذلك أقبل عليه اليهود دون غيرهم لعدة أسباب : أولها — أن بعض النصوص المحرفة فى الكتاب المقدس تبيح الإقراض بالفائدة للأجنبى . . وثانيها — أن الإقراض بالربا لا يكون عن تراض وإنما عن اضطرار وتحت ضغط شدة الحاجة لدى المدين ، وبالتالى فهو عملية وإن كانت غير إنسانية ولا أخلاقية إلا أنها تضمن المرابى ربحاً أكيداً ، وإن كان خبيثاً ملعونا . . وسبب ثالث هو أن النفس الإنسانية المستقيمة ترفض الاشتغال بالإقراض الربوى فلم لا ينفرد به اليهود ؟ وهو أقصر طريق الإثراء ؟ . . وهل ننسى كيف ربط الشاعر الإنجليزى الكبير (شكسبير) بين شخصية التاجر اليهودى — حيث كان — بمواصفات ذلك المرابى الملعون الذى يمتص دماء المحتاجين تحت ضغط الظروف ، فى شخصية (شيلوك) تاجر البندقية ؟ !

كان ذلك فى العصور الوسطى . . ثم تحول اليهود فى العصور الحديثة إلى جمع رءوس الأموال وتكديسها تحت سيطرتهم ، لاستخدامها ليس فى إقراض الأفراد فقط . . بل والحكومات أيضاً . . واليوم توجد عدة أسر يهودية قديمة ومشهورة بأنها تمتلك ملايين الملايين ولا تعمل إلا فى إقراض الحكومات ، وهى أسر مترابطة ومتصلة بأوثق الصلات لأنها تعمل لتحقيق غرض واحد هو فرض سيطرة رأس المال اليهودى حيث امتد هذا المال ، وبسط نفوذهم على كل مكان وجد فيه المال اليهودى . . ونسوا قصة قارون وخزائن أمواله . . ولعلهم ينتهون قريباً إلى نفس مصيره .

التجارة فى معناها الأساسى ، وجوهرها الحقيق الصافى ، هى إمداد جماهير المستهلكين والمنتجين بما يحتاجونه من خامات وسلع ومحاصيل وعدد وآلات وغيرها — بالبيع . . لا بالإقراض بالفائدة . . وقد يكون

هذا البيع نقداً أو بالأجل (على الحساب) و (أحل الله البيع وحرم الربا) ولكن اليهود يتجرون فى النقود ذاتها ، مع أنها وسيلة للتعامل . . وليست غاية له . فهل يعتبر اليهودى تاجراً ؟ أن المنطق يكذب ذلك ، والتاريخ نفسه يؤكد أن اليهود لم يكونوا تجارا بالمنشأة . . وهو ما سوف يشرحه لنا ويدلل عليه السيدان المؤلفان الأستاذ الدكتور حسن ظاظا والأستاذ السيد محمد عاشور ، فى هذا الكتاب .

فأما الأستاذ الدكتور حسن ظاظا فهو غنى عن التعريف ، ولكنى أود أن أفيه حقه الواجب على كل متعلم وباحث ، فهو أستاذ الدراسات العبرية بجامعة الإسكندرية . . حصل على الماجستير من جامعة تل أبيب . . نعم . . من جامعة تل أبيب ذاتها . . ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة باريس . . وليست الدرجات العلمية العالية شيئاً فى ميزان القيم إذا لم تواكبها وتساندها قوة الذاكرة ، وصفاء الذهن ، ووضوح المنطق ، وأمانة العلم ، وصدق العقيدة ، والاستعداد المستمر للعطاء . . دون مقابل . . وهذه فى اعتقادى صفات تتوافر بأكمل صورها فى شخص هذا العالم الجليل ، الذى تعتز به العروبة ويفخر به الإسلام .

وأما الأستاذ السيد محمد عاشور فهو زميل كريم ، وصديق حميم ، تخرج فى كلية التجارة من جامعة القاهرة ، واشتغل بتجارة الأقمشة ، فجمع بين النظرية والتطبيق ، وكان موفقاً فى كليهما كل التوفيق ، ولم يمنعه ذلك من أن يتجه إلى إمداد المكتبة العربية بنتائج اطلاعه المتنوع وثمار تجاربه ودراساته وله من الدراسات التى طبعت ونشرت ما يستطيع القارىء أن يلم به فى آخر هذا الكتاب . . لقد اقتحم الحاج سيد عاشور حارة اليهود فى عز هيلمانها وسلطانها ، بالفكر التجارى العلمى ، الأمين المستقيم ، حتى انحنت أمامه جباه جبابرة السوق منهم ، وأصبح « الحاج سيد » فى أعينهم صورة حية

للتاجر العربى المسلم ، المخلص الأمين ، الذى لم يمنعه حرصه على الحلال ، والحلال وحده دائماً ، من أن يسعد بالنجاح ، ومن أن يجد فى وقته متسعاً للتزود بالعلم والحكمة رغم أنف أحبار التلمود الذين يرون أن العلم والحكمة لا يجتمعان مع التجارة ... ولعلهم يقصدون (التجارة) على طريقتهم الملتوية .

وأخيراً ، أترك للقارىء الكريم أن يستمتع بمعلومات هذا الكتاب ، الذى يصحح كثيراً من القضايا والمفاهيم التى ألفها كثير من الناس فى عصرنا هذا ... كما يزيل الديكورات والبهارج التى نجح اليهود — حتى اليوم — فى التستر وراءها فظهروا فى ثياب (التجار) ... بل ومهرة التجار ... ولم يكونوا — ولن يكونوا — تجاراً قط ، طالما تركز نشاطهم واقتصر على الاتجار فى النقود ... ولا شىء غير النقود ؟

محمود جعفر الجيالى

اليهود

ليسوا تجاراً بالنشأة

— ١ —

التجارة والحضارة ظاهرتان مميزتان للإنسان . وهما مرتبطتان ارتباطا لاينفصم . فالإنسان محتاج إلى أن يتكامل مع بنى جنسه مادياً ومعنوياً ، وأول صور هذا التكامل أن يقدم إليهم الفائض من إنتاجه ليسد به نقصاً عندهم ، ويأخذ فى مقابل ذلك بعض الفائض من إنتاج كل منهم مما يحتاج هو إليه : فكان يشترى الصوف بالزيت ،والقمح باللحم ، والكتان بالبيض والأرض بالماشية . . وهكذا .

بل كان يشترى علاج الطبيب ، وعرافة المنجم ، وتهاويل الساحر ، وبدائع الفنان ، وفتوى الكاهن ، وكلها أمور معنوية بخيرها وشرها ،وكان يدفع فى ذلك الدر والجوهر وسمين الذبائح ونفيس المقتنيات .

والحضارة كلها سباق ومنافسة . وفى التجارة ينعقد السباق بين البائع والمشترى — على الأقل فى حقبة المقايضة القديمة — من منهما يحمل الآخر على الرضا بما يريد . وكان قانون العرض والطلب — كما هو دائما — الفيصل فى ذلك ، رغم أنف مولانا السلطان قديما ، ووزارة التموين فى العصر الحديث .

وأكاد أقول إنه لاحضارة بلا تجارة ، فالتجارة منذ نشأتها كانت تعنى التبادل ، والتبادل هو انتقال السلع والأموال من يد ليد ، ومن قطر لقطر . وهذا الانتقال يقوم على الخبرة ، والمغامرة ، والثقة بالناس بدون بلاهة ،

والارتياب فيهم بدون وسوسة ، والتعامل معهم بلا تفريق بين أبيضهم وأسودهم ، وبصرف النظر عن أوطانهم وأديانهم . لأن اللعبة كلها أساسها المال ، البيع والشراء .

والأمم التى تعيش فى قبلية ضيقة الحدود ، تعيش اقتصاديا فى شيوعية بدائية متخلفة أيضاً ، وهو المجتمع الفطرى المقفل المحدود الأثر فى الحضارة ، وهو أيضا محدود الأثر فى التجارة .

وانطلاقا من هذه الملاحظة كان بعض أصحاب النكتة من الأوربيين إذا تحدث عن الإنجليز قال : إذا كان الإنجليزى وحده اشتغل بتدخين الغليون ، فإذا اجتمع بانجليزى آخر راحا يلعبان الورق ، فإذا انضم إليهما ثالث أنشأوا شركة تجارية ، فإذا أضيف رابع كونوا إمبراطورية . وهو تلخيص لنمو الحضارة لا بالنسبة للانجليز وحدهم ، بل للبشر عامة : من العزلة إلى التعاون إلى التبادل التجارى إلى الدولة .

ويذكرنا الإنجليز بتعبير سياسى وتجـــارى كرسه الاستعمال وهو «ما وراء البحار» . وهو تعبير من حق التجارة أن تفخر به ، لأنه من صنعها ، ومنذ أقدم العصور . فمصر الفرعونية كان لها أسطول تجارى ضخم ، جزء منه للملاحة النهرية ، يمخر مياه النيل شمالا وجنوباً ، وجزء منه فى البحر الأحمر ، وثالث فى البحر الأبيض . وهذا الأخير ما زال يحيط بخط سيره غموض كثير ، فقد كان الظن متجهاً إلى أنه يجوب شرق البحر الأبيض فقط : ساحل فلسطين وسوريا ولبنان ، وبعض الجزر مثل قبرص وكريت . ثم تبين للباحثين أن المحيط الاطلسى لم يكن غريباً على الفراعنة ، وأن سفنهم ربما تكون قد وصلت إلى القارة الأمريكية قبل كولمبوس بآلاف السنين كما أثبت ذلك أخيرا الملاح إيردال فى رحلة «رع» التى قام بها فى هذه السنين الأخيرة . ومن يدرى ؟ فربما كانت سفن الفراعنة فى البحر الأحمر

لم تقف عند بلاد «البنط» والنوبة وسواحل الحبشة واليمن فحسب ، وواصلت مسيرتها نحو مدغشقر والهند . بل لعل طريق رأس الرجاء الصالح كان معروفاً لأولئك الأسلاف أيضاً .

أما الفينيقيون فقد أصبح من المؤكد الآن أن سفنهم وصلت إلى صقلية وتونس وجنوه ومرسيليا وبرشلونه وطنجة ، وأنها عبرت مضيق جبل طارق حاملة البضائع إلى إنجلترا وإيرلنده وسواحل النرويج . فقد وجد الأثريون قطعاً من النقود الفينيقية ، وبقايا من المصنوعات ، ونقوشا ، ومأثورات فولكلورية تؤكد هذا الشوط الطويل الذى كان البحار الفينيقى يقطعه بين الشرق والغرب منذ ثلاثة آلاف عام أو تزيد .

وفى نفس الوقت كان الآراميون فى سوريا والعرب فى شبه الجزيرة يمثلون ـ بالقوافل ـ امتدادا للخطوط البحرية الفينيقيـة . وكانت محطات القوافل فى بلادهم نشيطة نشاط الموانى أو أكثر . كان الآراميون ينقلون التجارة عبر القارة الآسيوية كلها ، من الشام وآسيا الصغرى إلى العراق وإيران والهند والصين وكوريا .

وكانت قوافل العرب تأخذ حمولة السفن من عدن إلى فلسطين وسوريا والعراق وتركيا ومصر . والتوراة تذكر أن القافلة التى التقطت سيدنا يوسف من الجب الذى رماه فيه إخوته كانت عربية ـ إسماعيلية (أى من أبناء إسماعيل بن إبراهيم) وكانت تحمل البخور والعطور والتوابل وغيرها من البضائع إلى مصر حيث باعت يوسف هناك .

وبفضل هذا النشاط التجارى القديم عرفت شعوب الشرق بعضها بعضاً ، قبل أن يحدث هـذا التعارف فى أية بقعة أخرى من الأرض ، واتسعت المعلومات الجغرافية والفلكية ، وازدهرت الحرف والصناعات والفنون ، واتسعت الأفكار فنشطت معها اللغات التى تؤديها وتعبر عنها ، واستعارت

هـذه اللغات مالا حصر له من ألفاظ الحضارة بعضها من بعض ، على نحو يطول شرحه فى هذه السطور . وحسبنا أن نتذكر أن أسبق أمم الأرض إلى معرفة الكتابة هى تلك الأمم التى كانت لها مصالح تجارية جعلت الحاجة ماسة إلى سجلات لضبطها . فعرف المصريون والسومريون الكتابة التصويرية ، التى نسميها الهيروغليفية ، وعرف البابليون والحيثيون والإيرانيون الكتابة المقطعية ، التى نسميها المسمارية ، وعرف الكنعانيون والفينيقيون والآراميون الكتابة الأبجدية ، ومنهم أخذها العالم كله .

فأين كان اليهود فى هذا المضمار ؟

كان اليهود فى بداوة الفجر والنور ، يهيمون على هامش هـذه الإمبراطوريات الضخمة المتحضرة ، ويعملون رعاة ، ويقيمون فى الخيام . واستمر ذلك أجيالا مديدة من تاريخهم . ولو رجعنا إلى اللغة العبرية لوجدنا فقراً مدقعا فى المصطلحات التجارية ، يثبت انغلاق هـذا المجتمع العبرى البدوى القديم دون التجارة والحضارة .

فالتاجر عندهم هو مجرد « بائع » — موخير بالعبرية — والزبون هو « المقتنى » أو « الشارى » ، وأكثر السلع والبضائع الشائعة فى تلك الحضارات الشرقية ليس لها اسم فى اللغة العبرية ، إلى أن تصدق عليهم الآراميون والعرب والفينيقيون والآشوريون بالكثير من هـذه الألفاظ الضرورية التى تكاد تندر فى التوراة ؛ ثم تربو وتزيد فى التلمود والمدراش ، لتثبت أن اليهودى القديم لم يكن « تاجرا » بالمعنى العلمى والاقتصادى للكلمة ، بل كان - كما وصف اليهود أنفسهم سلالته حتى القرن التاسع عشر الميلادى - من « رجال الهواء » ، أى متطفل على التجارة ، فهو سمسار ، أو « خطاف » ، عن طريق المضاربات والمساومات والربا ونحوها .

وبشيء من المقارنة سيزيد الأمر وضوحاً إن شاء الله . فالعربية تملك كلمة فنية اصطلاحية هي « تاجر » للرجل الذي مهنته تسويق بضائع معينة . وهي كلمة قديمة جداً ، نجدها في الآرامية والسريانية « تجاراً » وفي البابلية « تمكارو » من أصل سومري هو « تمكير » ، ويهمنا هنا أن نشير إلى أن البابلية لا تسمي كل تاجر « تمكارو » ، بل التاجر الغني صاحب الأثر الراجح المرجح في الأسواق . أما تاجر التجزئة ، الصغير المحدود القدرة ، فكانوا يسمونه « شملو » ، ويفهمون منها « البائع المتجول » أو موزع البضائع بالتجزئة ، أو ناقل البضائع لحساب تاجر كبير « تمكارو » .

فالتجارة كما نرى لم تكن من نشأتها حرفة لكسب العيش فقط ، بل كانت نشاطاً حضارياً يدين له التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والرياضية والفنون الابداعية والتطبيقية بالكثير الكثير ، ولأن اليهود لم يكونوا تجاراً منذ النشأة ، بل أصبحوا كذلك بالضرورة ، وفي عصر متأخر جداً ، فإن فضلهم على مظاهر الحضارة الأخرى يكاد يكون معدوما ، فما نعرف طرازاً في العمارة ، أو أسلوبا في الزخرفة ، أو تقليداً في الموسيقى والمسرح أو طريقة في الصناعة . أو نمطا في الانتاج يميز هؤلاء الناس . فأنت ترى العمل الفني المصري أو الآشوري وترى السلعة الصينية أو الهندية ، وترى قطعة الزخرفة أو الحلي الزنجية فلا تخطيء أصلها وفصلها ، مهما كنت غريبا على نقد الفنون والصنائع ، والخبرة بمميزاتها أما الفني اليهودي ، فأين هو ؟ إن الكتاب المقدس نفسه يعترف صراحة بأن هيكل سليمان — وهو أقوى وأقدس المشاريع الفنية في التاريخ اليهودي كله — كان عملا فينيقياً ، من المهندس « حورام » الصوري إلى أصغر العمال من النجارين والحجارين والبنائين . بل إن سليمان نفسه عندما أراد أن يدخل شعبه في مضمار التجارة دخل في البحر الأبيض شريكا للفينيقيين ، وفي البحر الأحمر شريكا لملكة سبأ ، وما كان يستطيع أن يجد من قومه من يخلق لمملكته تجارة من العدم

وهكذا عجز الرجل الذى فهم منطق الطير ، وركب بساط الريح ، وسخر الجن عن أن يسخر للنهضة التجارية خبيراً من بنى إسرائيل .

وفى المأثور الدينى اليهودى يكثر التشنيع بالتجارة ، نذكر من ذلك أن المفسرين للتوراة عندما تناولوا كلام موسى عن شريعته إذ يقول : « إن هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ، ولا بعيدة منك ، ليست هى فى السماء حتى تقول : من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها ؟ ولا هى فى البحر حتى تقول : من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها ؟ » — علق أولئك المفسرون بأن قطع الآفاق والبحار شأن التجار ، والشريعة غير ذلك . حتى إن الربى يوحنان يقول ذلك نصا فى المدراش ، عند هاتين الآيتين (التثنية ٣٠ : ١٢ ، ١٣) ويروون عن الربى يشوع بن حنينا فى التلمود قوله : ماذا ينبغى على الإنسان أن يفعل حتى ينال الحكمة ؟ أن يكثر من غشيان حلقات العلماء وألا يهتم بالتجارة ، وتكرر مثل ذلك فى المشنا (فواصل الآباء ٢ : ٦) : « إن من يكثر من الاهتمام بالتجارة لا يحظى بالحكمة » . وترد أقوال قريبة من ذلك فى نفس هذا القسم من كتاب الشريعة الشفوية اليهودية (المشنا) مروية على لسان الربى مئير (فواصل الآباء ٤ : ١٢ و ٦ : ٦) .

ونشعر من أقوال أولئك الكهنة أنهم يأكلون ويشربون لوجه الله ، وأنهم عالة على قومهم ، وأنهم غير محتاجين لا لتجارة ولا صناعة ولا زراعة ومع ذلك فمنطقهم هنا تجارى فى أقصى ما يكون منطق التجارة ، لأنهم يبيعون لقومهم كلاماً ليس غير . وقد يكون كلاما عظيما جداً ، بل كثير منه كذلك ، ولكنه وحده لا يصنع حضارة ، لأن الحضارة عمل لا كلام . وهم بهذا الكلام ينالون الثروة التى لم ينلها تاجر ، ويعيشون فى رغد ، ويبقى ذكرهم حتى اليوم .

ومع ذلك فإننا نجد من أحبار اليهود من تآخى مع فكرة المال ، وراح يلقى من حولها بالنصح والإرشاد . فالربى اسحق يقول « إن الإنسان ينبغى أن يدبر ماله بأن يقسمه ثلاثة أقسام : الثلث الأول يشترى به ممتلكات ثابتة : أرض وعقار ، والثانى يشتغل به فى التجارة ، والثالث يحتفظ به نقداً سائلا ، (بابا مصيعا — التلمود ٤٢ / ١) وما أظنه يختلف كثيراً عما يعمله أى بنك أو شركة تأمين فى العصر الحديث .

بل إن بعض أولئك الأحبار قد فتن بالتجارة لدرجة أنه قال : « أن مائة درهم تعمل بها فى التجارة تتيح لك أن تجد اللحم والخمر كل يوم ، أما مائة درهم تعمل بها فى الزراعة فلن تتيح لك إلا الملح وبعض الخضروات (الربى بابا فى التلمود — يباموت ٦٣/١) .

هذا التردد الواضح من مفكرى اليهود القدامى بين الإقدام والإحجام فيما يتعلق بالتجارة إنما يرجع إلى أنها كانت فناً لا يعرفه هؤلاء الأقوام ، لدرجة أن كلامهم عن الربا مثلا أوضح وأنصع ، لأنهم عرفوه منذ البداية ، وظلوا حتى النهاية يعتبرونه صورة من صور التجارة ، بل الصورة المربحة الوحيدة ، « وأحل الله البيع وحرم الربا » لأن الكسب بلا عناء هو دائماً كسب حرام ، سواء أكان من الربا أم من الميسر أم من ألوان السرقة والنصب والاحتيال التى لا يكاد يجمعها حصر . ولكن هل يفهم اليهود هذا ؟

الباب الأول

التجارة فى العصور القديمة

دار الاتحاد العربي للطباعة
لصاحبها : محمد عبد الرازق
٢٩ كنيسة الأرمن ش الجيش
تليفون : ٩٢٤٠٩٨

مقـــدمـــة

التجارة فى الدول القديمة

عرف العالم القديم التجارة ومارسها واشتغل بها وبرعت بعض الدول فيها وبلغت فيها شأواً كبيراً حتى أخرجت لنا نتيجة لتقدمها فى هذا المضمار نظماً وقوانين لاتقل عما وصل إليه العالم الحديث فى النظم الاقتصادية المعروفة اليوم .

هذه الدول لم تبخل علينا بعلمها وفنها بل شاركت فى تقدم الحضارة فتركت لنا تشريعات عرفنا من خلالها مبلغ ماكانت عليه من علاقات تجارية بينها وبين بعضها البعض ، ووقفنا على ماكان يدور بين الناس فى تلك العصور السحيقة فكانت نبراسا لنا نهتدى بهديه نأخذ من هذا السجل مانرتاح إليه ويوافق حياتنا ونترك مالا ينفعنا ولايضرنا .

وفى كل هذا نوجه لهم الشكر والعرفان بالجميل .

وقد أوردنا للقارىء أكثر هـــذه الدول وفذلكة تاريخية اقتصادية عما وصلت إليه كل دولة ليعلم ماكانت عليه هـــذه الدول من تقدم فى الفنون التجارية .

بابل

تقع « بابل » على نهر الفرات فى الجزء الجنوبى من العراق واشتهرت بالتجارة حكومة وشعباً منذ ثلاثة آلاف عام ولم يؤثر ضعفها السياسى فى بعض الفترات على شهرتها التجارية لأن التجارة كانت مهنة معظم أهلها ومصدراً هاماً من مصادر دخلها .

مظاهر تقدم التجارة فى بابل

هناك مظاهر متعددة وآثار مختلفة تركتها لنا بابل مما تدل على عظمتها التجارية وهى :

١ — الشرائع المختلفة التى عثر عليها الباحثون فى القرن العشرين وأهمها شريعة حمورابى .

٢ — أنشأوا القواعد الحسابية وتسجيل العمليات الحسابية فى التجارة .

٣ — كانت بابل مستودع التجارة العالمية وكانت القوافل التى تأتى من شاطىء البحر القزوينى والبحر الأسود والهند وبلاد العرب تمر عليها[1] .

٤ — كان الموظفون البابليون يزورون زبائنهم فى أماكنهم وهذا يعتبر من أول الأساليب التجارية المتقدمة .

٥ — أنشأوا مدناً وأسسوا غرفاً تجارية .

٦ — تركوا لنا المكتبات المشتملة على صور ومعاملات تجارية أنارت لنا كيف كانت التجارة فى هذه الأزمنة القديمة[2] .

٧ — عرفوا الحوالات التجارية وخطابات الاعتماد ونظام الإيداع فى البنوك .

---

(١) Principles Practice & Commece by Stephenson,

(٢) تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ جورج لوفران ترجمة هاشم الحسينى

٨ — أنشأوا نظام البريد لنقل الرسائل والأخبار .

٩ — استغل الكلدانيون (البابليون) الخليج الفارسى لنقل البضائع بدلا من القوافل البرية عبر الصحراء[١] .

١٠ — عبدوا الطرق البرية وبنوا الحصون والقلاع لتأمين المواصلات.

فينقية

كانت فينقية تتكون من مدن مستقلة تحكم نفسها بنفسها وكان من مدنها صور وصيدا وكان يحكمها ملوك وقلما كان يحكمها رجال الدين .

بقيت فينقية تقوم بالتجارة حتى جاء الاسكندر فقاومته مقاومة شديدة ولم يكن الفينقيون يتطلعون إلى سيادة سياسية ولكنهم كانوا يتجهون إلى السيادة التجارية .

ويرى المؤرخ رسون « أن الفينقيين يعتبرون أول شعوب العالم الذين احترفوا التجارة براً وبحراً إذ كانوا روادا لها ولن ننسى صور وأساطيلها التجارية وطرقها التى كانت معروفة والتى كانت من أهمها :

(ا) الطريق الذى يمر بفلسطين إلى بابل والهند .

(ب) الطريق الذى يتجه شمالا إلى أرمينية ثم القوقاز ثم الهند .

ويقول المؤرخ كليف داى عن مركز الفينقيين التجارى ما يأتى :

« احتكرت فينقية مواد الصياغة واعتبر الفينقيون أساتذة الشعوب فى علم الملاحة وجابوا معظم العالم وأنهم لم يقتصروا على التجارة بل امتد نشاطهم إلى إنشاء المدن .

---

(١) Petite Histoire Par Ondre

(٢) Rissun Peul, Histoire Sommoire de Commecoe Day. a History of Commerce.

ويقول أيضا «كان الفينقيون تجاراً ووسطاء بين الدول وبين بعضها البعض وكانوا يجوبون البحار وكانت صور وصيدا أهم المدن التجارية».

ويقول أيضاً «إن الفينيقيين ينشئون المدن ويقيمون بها المخازن والمحلات والأسواق».

مظاهر تقدم التجارة عند أهل فينقية :

١ — وجود مدن مازالت تحمل أسماء وألفاظ فينيقية مثل قرطاجنة وبريطانية (بلد الصفيح) وررودس وقبرص Cbipre [١] .

٢ — نشروا الحروف الهجائية فتعلمت منهم دول كثيرة ونقلت عنهم اليونان استعمال هذه الحروف .

٣ — النقابات :

عرفت فينيقيا النقابات وأثرها فى النواحى الاقتصادية فهجمت على إنشائها وسجلت الآثار أنه كانت هناك نقابات لأصحاب الحرف وكان الأعضاء يدينون بالولاء لرؤسائهم وكان يطلق على رئيس كل حرفة لقب «رب» وكان هو الذى يدبر أمور أهل الحرفة ويتولى رعاية شؤونهم [٢] .

قرطاجنة

أسست قرطاجنة سنة ٨٠٠ قبل الميلاد وكان لها نشاطها التجارى المعروف وأنشأت لها مراكز تجارية فى كثير من البلاد وكانت هذه المراكز تسمى كنتوار Contowirs وقد امتدت تجارة قرطاجنة إلى بلاد العرب وإلى داخل صحراء افريقية وكذلك إلى اسبانيا وبقيت تحتل مركزاً هاماً حتى استولى الرومان عليها سنة ١٤٦ م ففقدت مركزها التجارى .

---

(١) Hits. Economique par Louis Qandre p, 4

(٢) معالم حضارة الشرق الأدنى القديم للدكتور أبو المحاسن عصفور ص ١٦٠

صور وصيدا :

تعتبر صوراً وصيدا من أهم المدن على البحر المتوسط وقداشتهرت كل منهما بالتجارة وبلغت أهمية كل منهما فى هذا المضمار أن جاء ذكرهما فى التوراة حيث وصفتهما بأنهما اشتغلان بالتجارة وأن أسواقهما من أهم الأسواق العالمية وقد فصلنا ما تكلمت به التوراة بشأنهما فى الفصل الخاص بالأنبياء والتجارة .

كنعان[1]

تقع كنعان مكان فلسطين اليوم — وقد اشتهرت بالتجارة مثل بابل وفينيقية ، بل إن كلمة كنعانى كانت تدل على معنى تاجر كما جاء فى التوراة .

مظاهر التقدم التجارى :

١ — إنشاء النقابات :

كان الأبناء عادة يتخذون مهنة آبائهم وظل هذا الأسلوب متبعاً حتى العصور الأخيرة وهنالك ما يحمل على الاعتقاد بأن أصحاب الحرف كانوا ينتظمون فى نقابات فكانت النقابات تتألف من جماعات ترتبط بعضها ببعض بروابط المهنة والقربى وتعيش فى أحياء خاصة وقد وجدت مثل هذه المنظمات منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد .

الآشوريون

اشتهر الآشوريون بالنواحى السياسية والحربية إلا أن ذلك لم يبعدهم عن النواحى التجارية وإن كان ذلك قد جاء بطريق غير مباشر ذلك أنهم عبدوا الطرق الكثيرة لسهولة المواصلات وكان ذلك معناه استعمال هذه

(١) انظر سفر يوشع والفصل الخاص بالأنبياء والتجارة .

الطرق للتجارة كما هى مستعملة للنواحى الحربية ، أضف إلى ذلك أن الآشوريين تركوا لنا قوانين كثيرة أفادت التجارة كما أنهم اهتموا بإقامة المعارض التجارية فى المعابد الإسرائيلية مما دعا النبى حزقيال اليهودى لأن ينادى بمقاطعة هذه المعروضات الآشورية .

ومما يذكر لهم بالفخر أنهم احتفظوا بمكتبة ضمت حوالى خمسين ألف مجلد كانت نبراساً للعالم عرف منه ما كان عليه العالم القديم من حضارة اقتصادية .

أوجاريت

تقع أوجاريت جنوب مدينة اللاذقية بالشام وهذه المدينة كانت ذات حضارة قديمة وقد كانت مجهولة حتى القرن العشرين الميلادى ولكن الاكتشافات الحديثة التى عملت فى هذه الجهات كشفت النقاب عنها ودلت على أن أوجاريت كانت ذات حضارة عريقة وازدهار اقتصادى كبير قبل الميلاد بما يقرب من ألف وخمسمائة عام تقريباً ، واسم المدينة أوجاريت وهذه الكلمة مشتقة من كلمة أوجار السومرية وأوكار الفارسية وعقار العربية بمعنى رقعة الأرض أو الحقل .

وظلت هذه المدينة فى ازدهار حتى سنة ٢٠٠ ق . م حيث دمرها المتبربرون الذين أغاروا على تلك الجهة فخربوها .

مظاهر التقدم الاقتصادى :

كان اليهود يدعون بأن التوراة التى بين أيديهم الآن قد حوت الكثير من النظم الاقتصادية والشئون المدنية وظلوا فى دجلهم هذا حتى إذا ما اكتشفت مدينة أوجاريت وعرف رجال الآثار مدى ما كانت عليه هذه المدينة من

تقدم وحضارة — أمكن لرجال العلم أن يقارنوا ما كان لدى أهل أوجاريت من فنون وكيف أنهم سبقوا ما جاء به اليهود وما ادعوا وعرف العلماء أن هؤلاء اليهود نقلوا الكثير من حضارة أوجاريت وأصبح لا فضل اليهود فيما جاؤا به ولنضرب لك مثلا لذلك :

فى نظام الإقراض بالربا : تقول التوراة الحالية « لاتقرض أخاك بربا ولكن للأجنبى إقرض بربا » ومعنى ذلك أن هناك تمييزاً بين اليهودى وبين الأجنبى واليهودى يقرض غير اليهودى بالربا بينما لا يقرض اليهودى أخاه بالربا .

هذا التمييز كان له شبيهة فى مدينة أوجاريت إذ كان العرف يقضى أن يكون هناك تمييز بين المقترض من أهل أوجاريت وبين المقترض من أهل مدينة أو دولة أخرى فإذا كان المقترض من أهل أوجاريت كانت نسبة الفائدة على المبلغ قليلة بينما لو كان المقترض من غير أهل أوجاريت فإن نسبة الفائدة تكون أعلى مما يقترض بها المدين الأوجاريتى(١).

فإذا قلنا إن هذا التمييز فى أوجاريت كان مطبقاً قبل الميلاد بحوالى ألف وخمسمائة عام أى قبل ظهور سيدنا موسى عليه السلام بحوالى مائتى سنة وقبل كتابة التوراة الحالية بحوالى ألف عام فمعنى ذلك أن اليهود نقلوا شريعة أوجاريت .

٢ — كثيراً ما استعملت التوراة الحالية ألفاظاً كانت معروفة عند أهل أوجاريت ومن هذه الألفاظ — الشاقل والتالنت والقيراط والحبة والمن والككار(٢).

(١) الربا عند اليهود للمؤلف .

Las origines antiques de la Banque Par albert goaert P. I43 ·

(٢) التوراه الحالية

الآراميون (١)

ظهر اسم آرام فى المصادر التاريخية منذ القرن الرابع والعشرين ق . م حتى إذا جاء القرن الحادى عشر قبل الميلاد نراها تصبح من الدول ذات الشأن فى النواحى التجارية فى الوقت الذى كان فيه اليهود يشتغلون بالرعى ولم يكن لهم شأن ولا حضارة .

واستمر الآراميون يتقدمون تجارياً حتى أصبحوا سادة العالم فى هذا المضمار .

ومما يدل على تقدمهم التجارى ما يأتى :

١ — كانت قوافلهم التجارية تجوب جميع البلاد الواقعة فى الشرق .

٢ — انتشار لغتهم فى معظم جهات العالم المعروف فى هذا الوقت وقد تفوقت اللغة الآرامية على اللغة الفارسية والعبرية وإليك الدليل على ذلك .

تفوقت اللغة الآرامية على اللغة العبرية إذ كانت اللغة العبرية تعتبر لغة ميتة منذ القرن الثامن قبل الميلاد وظلت ميتة حتى ظهور المسيح عليه السلام وتحدثنا التوراة نفسها عن ذلك فتقول :

« عندما احتل سنجاريب ملك آشور بلاد اليهود وجاء وفد من اليهود ليتفاوض مع القائد الآشورى لم يتكلم الوفد اليهودى باللغة العبرية بل تكلم باللغة الآرامية لأن اللغة العبرية كانت قد ماتت ونسيت وأصبح اليهود لايعرفون عنها شيئاً » وجاء فى التوراة مايدل على ذلك « كلم عبدك بالآرامى فإننا نفهمها » ويالعار اليهود لا يعرفون لغتهم » (٢) .

---

(١) سكن الآراميون الجزء الواقع مكان سوريا الآن وخصوصاً دمشق إلا أنهم كانوا منتشرين فى معظم الجهات الواقعة من شرق البحر الأبيض المتوسط والعراق .

(٢) التوراة ، سفر الملوك الثانى ، إصحاح ١٨ آية ٢٦ .

(ب) فى العصر الفارسى. بلغ من أهمية اللغة الآرامية أن التاجر الفارسى أو الآشورى عند ما يتلقى مستنداً أو مكتوباً بالفارسية أو الآشورية كان يمسك بقلمه ويخط عليه مذكراته بالآرامية .

(حـ) أن المسيح عليه السلام تكلم فى معظم أقواله باللغة الآرامية لأن معظم اليهود لم يكونوا يفهمون اللغة العبرية .

(د) أن علماء اليهود تركوا حروف لغتهم واستعملوا الحروف الآرامية وأصبحت الحروف الآرامية هى المستعملة الآن ولم يعد لحروف اللغة العبرية القديمة أى صلة ما وأصبحت نسياً منسياً .

(هـ) أن التلمود وهو كتاب اليهود الثانى مشروح بالآرامى ويكفى هذا دليلا على تفوق اللغة الآرامية وقوة انتشارها حتى عند اليهود . كذلك كثرة الألفاظ الآرامية فى بعض الأسفار كما جاء فى سفر دانيال .

(و) كثرة الألفاظ التى وصلتنا باللغة الآرامية والتى ما زالت مستعملة حتى عصرنا الحاضر .

كل هذا يدل على تقدم الدولة تجارياً وفى الوقت نفسه لم يشتغل الآراميون بنواح سياسية أو حربية وإنما تخصصوا فى الأعمال التجارية (١) .

اليونان

كان اليونانيون لا يميلون إلى الاشتغال بالتجارة فى بادىء الأمر وذلك بسبب كتابات فلاسفتهم مثل أرسطو وأفلاطون إذ لم يكن فى كتاباتهما ما يشجع على الاشتغال بالتجارة فأفلاطون يرى أن التجارة تعمل على عدم تناسق الحياة فى المدينة التى هى المثل الأعلى للدولة وأن التجارة تمنع العدالة

---

(١) العقلية الإسرائيلية ـ تأليف دكتور حسن ظاظا

عن أن تسير سيرها الطبيعى وأن التجارة تعمل على فساد النفوس لكثرة ماينفقه هؤلاء التجار ، ومن هنا تركوا التجارة للعبيد ليقوموا بها .

إلا أن هذه الفلسفة سرعان ما تبددت واتجه اليونان إلى احتراف التجارة وذلك لأسباب عدة أهمها :

١ — اختلاط اليونانيين بالفينيقيين والآراميين .

٢ — الفتوحات التى قام بها الاسكندر الأكبر وهجرة كثير من اليونانيين إلى بلاد آسيا الصغرى .

٣ — اطلاعهم على حضارات الأمم السابقة .

٤ — أصدر الفيلسوف اليونانى صولون قانونا يعاقب كل شخص لا يحترف مهنة يتعيش منها وبذلك حارب البطالة وفتح باب العمل بالتجارة (١) .

ولعلنا نقول إن مظاهر التقدم التجارى عند اليونان يتمثل فيما تركوه لنا من مدن باقية للآن وكذلك فيما حفظوه من ألفاظ ما زالت مستعملة حتى وقتنا الحاضر .

فأما المدن التى أنشأها اليونان نتيجة اشتغالهم بالتجارة فهى مارسيليا بفرنسا ونقراطيس بمصر .

أما الألفاظ فهى : سمسم Sesamc وترابيزه Trapezetts بمعنى مصرف أو نقود ودلتا وهى دلتا النيل لأنها على شكل حرف دلتا اليونانية والمقابل لحرف d الانجليزية

لاشك أن اليونان قد تأثر بحضارة الشرق القديم فقد نقل عنه الحروف

---

(1) History of Commerce by Ray.

الفينيقية كما نقل عنه أسماء بعض السلع كما نقل عنه بعض العرف والتقاليد التى كانت متبعة فى مدن الشرق القديم .

الرومان

يرى بعض المؤرخين أن الرومان لم يكن لديهم النشاط التجارى بالدرجة التى عرف بها البابليون أو الفينيقيون أو الآراميون .

كما أنهم لم يتركوا لنا أفكاراً اقتصادية هامة مثل آراء فلاسفة اليونان مثل أرسطو وأفلاطون وصولون .

أما من الناحية التجارية فإن معظم آراء فلاسفتهم كانت ضد التجارة فثلا نرى شيشيرون وسنيكا يفضلون الزراعة على التجارة فالفيلسوف شيشيرون يقول إن من الأشياء المشينة : جامع الضرائب والمرابى[١].

كما يقول بعض المؤرخين: إن الرومان كانوا يحتقرون العمل والتجارة وإن كانوا لم يحتقروا الربح .

ومن مظاهر احتقارهم للتجارة أنهم كانوا يسمحون لعبيدهم بالاشتغال بالتجارة[٢] .

قلنا إن الرومان احتقروا التجارة ولكن أى نوع من التجارة قصدوا احتقارها إنهم احتقروا تجارة التجزئة أما تجارة الجملة فلم يحتقروها على أساس ان تجار الجملة يجلبون بضائع من الخارج

وقد بقيت فكرة احتقار التجارة متأصلة عند الكثير من الرومان حتى أنهم وصفوا اليهودى بالغشاش والخائن بعد أن اشتهر اليهود بالإقراض والربا[٣] واشتغالهم بالتجارة .

---

(١) تاريخ الفكر الاقتصادى تأليف دكتور لبيب شقير .

(2) Priucipla & Practice of Com. Bz Stephonsea. d. 106.

(3) The Jews in Ancient & Med. and Modurn by Hosmed p. 253.

ولكن هل قدم الرومان خدمات للتجارة ؟

الحقيقة أنهم خدموا التجارة بطريق غير مباشر وذلك بالطرق البرية التى أنشأوها لربط البلاد التى كانت تحت حكمهم سياسياً فعملت على سهولة نقل البضاعة من مكان إلى آخر ومن بلد إلى آخر فاستفادت التجارة وزاد ارتباط الدول بعضها ببعض .

التطور الاقتصادى فى مصر منذ عهد الفراعنة

(ا) حالة مصر التجارية فى عهد الفراعنة :

كانت مصر بلداً زراعياً لكنها اهتمت أيضاً بالتجارة خاصة بعد عهد الأسرة الثامنة عشر وامتد نشاطها التجارى إلى سوريا .

وقد ساعد على هذا النشاط التجارى ما يأتى :

١ — موقع مصر على ساحل بحرين عظيمين هما البحر الأحمر والبحر المتوسط

٢ — نهر النيل الذى يصل البحر الأبيض المتوسط بمصر والسودان .

٣ — إنشاء المدن للجاليات الأجنبية مثل نيوقراطيس وكانوب

٤ — نظام الرياح الشمالية التى ساعدت السفن على السفر جنوباً .

٥ — الفائض الزراعى .

٦ — الفتوحات الحربية فى عهد تحوتمس ومن جاء بعده .

٧ — الفرع السيلوزى وتوصيل قناة بالنيل والبحر الأحمر .

٨ — محاولة نخاو للدوران حول أفريقية لتسهيل الملاحة والتجارة بين مصر وجاراتها ولمنافسة الدول الأخرى تجارياً بإيجاد طرق ملاحية .

ويقول المؤرخون إن هذه المحاولة كانت محاولة للحصول على الطرق البحرية التى تزيد من التجارة المصرية حيث أن نبوخذنصر حوّل التجارية البرية إلى تجارة بحرية عن طريق الخليج الفارسى .

(ب) حالة مصر فى عصر البطالسة :

اهتم بعض الحكام البطالسة بإصلاح أحوال مصر الاقتصادية وأخذ هذا الإصلاح بعض المظاهر الآتية :

١ — إصلاح الأراضى البور ، وكان ذلك بالوسائل الآتية :

(ا) تشجيع استثمار الأموال فى الزراعة .

(ب) إعفاء زراع الكروم والفاكهة فى الأرض البور من الضرائب فى الخمس سنوات الأولى ، ثم تجبى منهم ضرائب مخفضة فى الثلاث سنوات التالية . وبعد ذلك تجبى الضرائب كاملة .

(ح) تمتع أهل الإسكندرية بالضرائب المخفضة لمدة ثلاث سنوات وذلك لتشجيعهم على استثمار الأراضى الزراعية البور .

١ — سياسة التوجيه والتخطيط وذلك بهدف العمل على تقدم الدولة بسرعة نحو نموها اقتصاديا . وذلك يظهر فيما يأتى :

(ا) اتبعت سياسة الاحتكار لبعض الصناعات مثل صناعتى الزيت والملح . وقد كان الاحتكار فى جميع مراحل إنتاج الزيت من وقت زراعة النبات حتى حصاده واستخراج الزيت .

(ب) كان الحكام يسلمون البذور إلى الزراع ثم يحصلون على ربع المحصول مقابل الضريبة المستحقة لها ثم يشترى باقى المحصـــول بسعر تحدده الدولة .

(ج) اهتمت بالإشراف على صناعة النسيج وأهميتها وكذلك صناعة الورق من نبات البردى .

(د) سعرت الدولة بعض السلع مثل الزيت بحيث تحقق لأصحابها ربحاً وفيراً[١] .

٣ — سياسة التصدير والاستيراد :

اهتمت الدولة بالتصدير ووضعت له قواعد خاصة :

١ — أخضع التصدير لبعض السلع لسيطرة الدولة التامة مثل ورق البردى والقمح .

٢ — مراقبة العملة الأجنبية :

أصدر فيلادلفوس أمراً إلى جميع التجار الأجانب بوجوب استبدال مايوجد معهم من عملة أجنبية ذهبية أو فضية بعملة فضية بطلمية جديدة ليستخدموها فى عقد صفقاتهم فى الإسكندرية وداخل البلاد وهذا البيان له أهمية مزدوجة : فهو يدل على وجود رقابة على النقد الأجنبى كما يدل أيضاً على أن هؤلاء التجار الأجانب كانوا أحراراً فى التنقل إلى داخل البلاد مما يؤكد أن الدولة لم تتدخل فى تحديد نشاطهم التجارى .

٣ — إعادة التصدير[٢] :

كان المصريون يقومون باستيراد بعض الأصناف لصنعها فى مصر ثم إعادة تصديرها بأسعار مرتفعة إلى مناطق حوض البحر الأبيض فى الشمال .

التجارة البحرية :

أراد بطليموس الثانى أن تحتكر مصر التجارة البحرية فأنشأ مدينة شمال ساحل البحر الأحمر سماها برنيقة على اسم أمه سنة ٢٥٠ م ، وأنشأ أسطولا

---

(١) مصر من الإسكندر إلى الفتح العربى ـ دكتور مصطفى العبادى .

(٢) مصر من الإسكندر إلى الفتح العربى ـ دكتور مصطفى العبادى .

صار يمخر فى البحر الأحمر وبحر الهند وينقل سلع بلاد الشرق إلى هذه المدينة ثم تنقل من هنا إلى الإسكندرية ثم إلى سواحل البحر المتوسط . وكان هذا العمل سبباً فى منافسة مصر لسوريا وكانت الأخيرة تحت حكم السلوقيين(١) .

(ﺟ) حالة مصر فى عهد الإسكندر :

الاحتكار فى عهد الإسكندر

عرفت مصر نظام الاحتكار فى عهد الإسكندر :

كان حاكم مصر من قبل الإسكندر الأكبر يدعى كليومنيس وكان رجلا ناجحاً فى الشئون المالية . وقد اتبع طريقة هى الاحتكار كما نسميه اليوم اتفق مع الزراع بأن يشترى منهم محصول القمح بالسعر الذى كانوا يصدرون به وبذلك احتكر تجارة القمح وأصبح المصدر الوحيد لهذه السلعة فى مصر .

وقد تحكم فى الأسواق الأجنبية أيضاً . وذلك عن طريق شبكة متفرعة من السماسرة والوكلاء بثهم فى موانى البحر الأبيض المتوسط الهامة . وكان هؤلاء الوكلاء يخبرونه أولا بأول عن أسعار القمح فى الأسواق المختلفة .

وحينما شح القمح ارتفع سعره استطاع كليومنيس أن ينتهز الفرصة فى الحال ويرسل إلى ذلك المكان شحنات من القمح وبيعها بالسعر الذى يفرضه هو نظراً لندرته فى ذلك المكان حتى إنه قيل أنه باع الكيل من القمح فى بعض الأزمات بمبلغ ٣٢ دراخمه بينما كان يتراوح من ٥ إلى ١٠ فى الوقت العادى(٢).

(ى) حالة مصر فى عهد الرومان :

تكلمنا فيما سبق عن أهمية مركز مصر تجارياً فى عصر الفراعنة والآن نتكلم

---

(١) الجنس العربى ٣٠٢ الجزء الرابع تأليف محمد عزت دروزة .

(٢) مصر من الإسكندر إلى الفتح العربى للدكتور مصطفى العبادى .

عن أهميته فى عصر الرومان . زاد نشاط التجـــارة فى مصر أثناء الحكم الرومانى زيادة كبيرة .

ويرجع ذلك إلى عدة أسباب أهمها :

١ — موقع مصر المتوسط الممتاز على طريق التجارة بين الشرق والغرب .

٢ — وجود الاسكندرية ، وهى أكبر مركز تجارى على ساحل البحر الابيض — وكان بها عدد كبير من التجار الأجانب .

٣ — اكتشاف الرياح التجارية وأهميتها الملاحية مما ساعد على السفر إلى الهند مما جعل البحارين الاسكندريين لايتخذون طريقاً مباشراً عبر المحيط بين مخرج البحر الأحمر ومصب نهر السند فقلت المساحة وقصر الزمن .

٤ — عدم منافسة العرب للتجار المصريين لأن العرب اهتموا بنقل تجارتهم بالقوافل البرية .

٥ — كان هناك وفاق وتحالف بين تجار مصر وتجار تدمر مما ساعد على تسهيل التجارة البرية وكانت تدمر فى ذلك الوقت من أقوى البلاد التى تقوم بالتجارة البرية لموقعها الحسن .

٦ — قوة التجار المصريين حالياً — ساعد على استثمار أموالهم فى التجارة فزادت التجارة المصرية .

٧ — السماح بانشاء نقابات صناعية وأهمها نقابات النسيج ولو أن هذه النقابات كانت خاضعة للحكومة إلا أن هذا الموضوع كان لسهولة مراقبتها والإشراف عليها حتى أن هـذا الأشراف لم يمنع الحكومة من منح هـذه النقابات بعض الامتيازات كأعفائها من القيام ببعض الأعمال الإجبارية والتى كانت تهم الخزانة[1] .

(١) مصر من الإسكندر إلى الفتح العربى للدكتور مصطفى العبادى ٢٥٧ .

السوريون

سبق أن تكلمنا عن الفينقيين والآراميين والكنعانيين وقلنا أنهم أهل تجارة .

ونود أن نقول إن السوريين وهم أحفاد الآراميين والفينقيين كانوا ولايزالون أيضاً من أمهر شعوب العالم فى التجارة فهـذا الشبل من ذاك الأسد .

ولقد نافس التاجر السورى التاجر الرومانى والايطالى واليونانى واليهودى حتى إنه تمكن من أن يذهب إلى وسط الصحراء كما وصل أيضاً إلى التبراء فى القرن الأول الميلادى .

واستمر السورى فى نشاطه التجارى الذى عرف به منذ أقدم العصور حتى تراه فى القرن السابع الميلادى يقوم باستيراد البضائع من الشرق ويصدرها إلى بلاد الغرب ونافس فى هذا المضمار كل من التاجر اليهودى واليونانى وتمكن كذلك من أن يجوب أوربا عن طريق نهر الرون فيصل إلى مدينة ليون وبلاد الغال كما أنه كان يتخذ مراكز تجارية فى إمبراطورية شارلمان واسبانيا واحتكر معظم تجارة الولايات اللاتينية مع المشرق .

واستمر نشاطه التجارى حتى عصر صلاح الدين الأيوبى فنراه يتخذ مراكز تجارية فى القسطنطينية ويتفوق على غيره من التجار الأجانب ونال ثقة الناس به حتى إن أحد أعضاء الجالية السورية فى باريس ويدعى يوسيبوس انتخب أسقفاً للمدينة سنة ٥٩١[١] ميلادية وهذا يدل على مابلغ السورى من مركز هام وثقة من أهالى تلك البلاد الأجنبية .

---

(١) تاريخ سوريا ولبنان الجزء الاول سنة ٣٩٤

الفرس

اهتم الفرس بالفتوحات الحربية دون أن يهتموا بالنواحي التجارية إلا أن الطرق التي أنشأها الملك داراً لأغراض سياسية خدمت التجارة بطريق غير مباشر - إذ ربطت الدول بعضها ببعض كما أن هذه الطرق سهلت نقل البضائع من جهة إلى أخرى .

أضف إلى ذلك أن فنادق وأسواق أقيمت على طول الطرق فكان ذلك سبباً في تسهيل نقل البضائع .

ومما يذكر بالفضل للفرس أنهم كانوا من أوائل من ضرب النقود حتى أن بعض المؤرخين يرجعون الدينار إلى كلمة داريك الذي ضرب في عهد الملك دارا(١) .

وقد بنى داريوس الأول (٥٢٦ — ٤٨٦ ق. م) الطرق وحسنها وأنشأ نظاما للبريد وأصلح الضرائب وأعد أسطولا لاتخاذ طريق بحرى بين مصر وفارس وكان الفنيقيون عماد هذا الأسطول(٢).

تدمر(٣)

كان التدمريون يقومون بالقسط الأكبر من تجارة البحر المتوسط مع بلاد فارس والهند والصين وقد وجدت قطعة من الحرير الصيني في قبر في تدمر يرجع إلى عام ٨٣ م .

ومما يدل على القيمة الكبرى التي تمتع بها التجار المواطنين ما جاء في

---

(1) Hist. depuis de l'antiguite par Andre' p. 3.

(٢) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين تأليف دكتور فيليب حتي

(٣) تقع تدمر بين سوريا والعراق

الكتابات الأثرية التى تعود إلى منتصف القرن الثالث الميلادى عن إقامة مجلس الشعب تماثيل لرئيس القافلة ورئيس السوق وهذا مما يثبت أهمية التجارة والقائمين بها .

وقد ازدهرت الصناعة الوطنية إلى جانب التجارة وتبرهن كتابة أثرية من عام ٢٥٨ ميلادية عن وجود نقابة للصناع الذين يصنعون الذهب والفضة وكانت تتمتع بنفوذ كبير[١] .

وقد ازدهرت التجارة فى تدمر أثناء القرون الثلاثة الأولى وكانت تقوم بنقل التجارة من الشرق الأقصى وبابل من ناحية وسواحل سوريا من ناحية أخرى .

وقد امتد نشاطها التجارى حتى نرى تجاراً من تدمر يتعاملون مع تجار من الإسكندرية بل إنهم وصلوا إلى قفط فى الصعيد وسكنوا فيها ليباشروا عملياتهم التجارية من هذا المركز التجارى .

النبط

تقع بلاد النبط محل الأدوميين وهو الآن بالمكان الواقع بين غزة وشرق الأردن والبحر الميت .

وكانت بترا عاصمة النبط تقع على طريق القوافل التجارية التى تأتى من الجزيرة العربية قاصدة بلاد الشام ومصر . ولهذا كانت النبط مركزاً تجارياً هاماً .

يقول ديودور الصقلى إن شعب بطرا يتجر بالطيوب وغيرها من العطريات فكانوا يحملون هذه المواد من اليمن وغيرها من البلاد الأخرى

(١) تاريخ سوريا ولبنان الجزء الأول - فيليب حتى ص ٤٢٤ .

إلى مصر وشواطىء البحر المتوسط ، وكانت تجارة الغرب تجرى على أيديهم .

وبلغ من أهمية التجارة عندهم أن جعلوا للتجارة إلهاً خاصاً بها سموه «شع القوم» أو شفيع القوم أى حاميهم إذ جعلوا هذا الإله «إله القوافل»[١] .

وأدت العلاقات التجارية التى قام بها النبطيون إلى تطلع الرومان إليهم فعقدوا المعاهدات بينهم وكان من مواد هذه المعاهدات ما يتكلم عن طريق تنظيم سير القوافل التجارية ووقت قيامها من مدينة ما ووقت وصولها فمثلا القافلة التى تقوم من أنطاكية إلى دمشق ومن دمشق إلى بطرا تستغرق تسعة أيام ومن بلوز (الفرما) إلى الإسكندرية خمسة أيام برا ويومين وبحرا ومن بطرا إلى غزة خمسة أيام .

هذا هو التنظيم الذى وصلت إليه بطرا فى الزمن القديم ، وهذا يشبه ما نراه اليوم من تحديد قيام ووصول السفن التجارية الدولية .

تيماء

تقع تيماء فى أعالى الحجاز على طريق يثرب — معان .

وكانت تيماء تقع على ملتقى القوافل التجارية الغادية من الجنوب إلى الشمال ، وقد وجه إليها الملك الكلدانى سنة ٥٠٠ ق . م حملة حربية للاستيلاء عليها والحقيقة أنه أراد أن يستولى على المراكز التجارية التى كانت تتمتع بها تيماء لكنه لم يتمكن من ذلك .

ولقد كان فى تيماء فى زمن النبى عليه السلام جالية يهودية على ما يستفاد

---

(١) الجنس العربى ـ الجزء الخامس ص ٣٥٥ تأليف محمد عزه دروزه .

من كتب السيرة والتاريخ الإسلامى والظاهر أن جماعة من اليهود نزحوا من فلسطين فى القرن الأول والثانى بعد الميلاد فراراً من تنكيل الرومان(١) .

وقد ذكر اسم تيماء فى نقوش تاغلان بلاشر الآشورى الذى حكم فى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد .

وذكر اسمها كذلك فى سفرى أشعيا وأرميا من أسفار العهد القديم وقد جاء ذكرها عند ماذكرت مع دران عاصمة اللحيانيين .

جرها أو (العقير)

كانت جرها gorrha مركزاً تجارياً هاماً على الخليج الفارسى ، وكانت تسيطر هذه المدينة العربية تقريباً على الساحل الغربى للخليج الفارسى وعلى طرق القوافل الكبرى فى ذلك الجزء من الجزيرة العربية وكان يتجه أحد هذه الطرق جنوباً ويصل إلى العقير باليمن بينما تتوجه الطرق الأخرى فى قلب الصحراء إلى تيماء ومنها إلى البتراء وكان الاتصال البحرى الرئيسى بين الهند والامبراطورية السلوقية يتم أيضاً بواسطة العقير .

ويبدو أن العلاقات بين بلاد العقير والشام فى عهد السلوقيين والبطالسة كانت قوية إذ كان أهل الشام . يتزودون بحاجاتهم الرئيسية من بضائع الجزيرة العربية بواسطة العقير وكانت هذه البضائع تتألف من المر واللبان وغيرهما من المواد العطرية وكان طلب اللبان كثيراً جداً فى الامبراطورية السلوقية لأن أية عبادة يونانية كانت أو يهودية أو غيرها من العبادات السامية لاتكتمل إلا به .

والدليل على أهمية هذه السلعة أنه يحرق كل يوم على المذبح .

---

(١) الجنس العربى ـ تأليف محمد عزه دروزه ص ١٠٥

وكانت بضائع الهند تنقل إلى الشام على أيدى أهل العقير ومن أمثلة هذه السلع القرفة(١) .

الجرهميون أو القريون

تقع مدينة الجرهميين على خليج عميق من خلجان الخليج العربى الفارسى وبيوتها مبنية من حجارة وأهلها يتاجرون بالطيب والمر والبخور تحملها القوافل التى تسلك الطريق البرية والبحرية إلى بابل ثم إلى مدينة تابسكوس Thapecus التى يظن بعض المؤرخين أنها مدينة دير الزور(٢) .

وكان هناك ميناء مادين ويقع فى حوض الفرات وكان ملتقى القوافل الواردة من الجنوب والشمال ومركزاً تجارياً يستقبل مراكب وتجارة افريقية والهند والعربية الجنوبية ويعيد تصديرها إلى مختلف الأسواق براً وبحراً(٣) .

مكة

تعتبر مكة من أهم المراكز التجارية فى شبه الجزيرة العربية لعدة أسباب :

١ — وقوعها على طريق القوافل التجارية التى كانت تبدأ من اليمن جنوباً متجهة نحو غزة شمالا . ولما كانت مكة تتوسط هذا الطريق فإن هذه القوافل تحط رحالها فى مكة للراحة والاستزادة من الماء .

٢ — وجود البيت الحرام فى مكة وكان لهذا البيت قبل الإسلام مكانة لا تقل أهمية عما ناله فى الإسلام فكان الحج إلى هذا البيت كل عام .

---

(١) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين تأليف فيليب حتى .
(٢) دير الزور : مدينة فى الصحراء تقع على الطريق بين سوريا والعراق .
(٣) الجنس العربى ص ١٠٥ .

٣ — قيام الأسواق التجارية فى مكة وما حولها أعطى لمكة مركز الصدارة بين غيرها من الدول .

٤ — قيام بعض رؤساء قبيلة قريش بعقد الأحلاف والمعاهدات التجارية بينهم وبين الدول المجاورة مما زاد من مركز مكة التجارى .

٥ — قيام قصى (رئيس قبيلة قريش) بتأسيس دار الندوة وهى تشبه فى يومنا هذا الوزارات ومجلس الشعب حيث أن هذه الدار كانت تقضى فى المسائل التجارية والاجتماعية .

ولقد رفع الإسلام من شأن مكة . فقد قال الله تعالى : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » (١) .

قتبان

اهتمت قتبان بالتجارة وتدل الآثار التى اكتشفت فى هذه المنطقة على ما وصلت إليه التجارة من تقدم عند القتبانيين . وقد وجد نقش أصدره الملك « شهر هلل بن ذر أكرب » عن تنظيم الحياة الاقتصادية .

كذلك وجد نقش ثان من الملك شهر عيلان عن كيفية جباية الضرائب وفيه تحدد الضريبة بمقدار عشر كل ربح صاف وكل ربح يأتى من الالتزام أو بيع أو إرث .

أما ماهو خاص بالتجارة والأجانب فقد وجدت عدة نصوص مدونة بأمر الملك شهر هلل موجهة إلى رعاياه وغيرهم ممن يقصدون المملكة للاتجار وإلى القتبانيين والغرباء والذين يتعاملون فى أسواق قتبان أو فى الأسواق

---

(١) القرآن الكريم : ١ سورة لإيلاف .

الخارجية حتم عليهم تقديم رهونات وافية توضع فى خزائن «تمنع»[1] ليسمح لهم بالاتجار مع «شمر»[2] أو فى أماكن أخرى تقع وراء حدود مملكة قتبان ويظهر أن شمر كانت مملكة مستقلة بعض الشىء أو أنها كانت سوقا يقصدها التجار مع قتبان ومن خارجها عن طريقها للمتاجرة فيها .

وقد فرضت عقوبات مالية على من يخالف القانون ويتاجر مع الغرباء دون علم الحكومة وهدد كل من يتعامل فى السوق السوداء أيضاً بدون علم الحكومة باستيلاء على جميع رهوناته ومصادرة بيوته وحاصل موسمين من مواسم أرضه وإذا كان الشخص قد فر إلى خارج المملكة يصادر كل ما يملك ويصبح ملكا لملك قتبان[3] .

ومن جملة النصوص لتنظيم التجارة مع الدول الأجنبية مثل مدينة شمر حصر النشاط التجارى مع شمر نهارا ومنعه ليلا من الغروب حتى الصباح .

احتوت كذلك النصوص التى اكتشفت على الأسس التجارية التى نسميها اليوم «اتفاق دفع» بين دولتين إذ وجدت نصوص تفيد وجود اتفاق تجارى بين قتبان وشمر ذلك أن الشمريين (أهل شمر الذين يقصدون قتبان للاتجار يضعون كذلك رهونات فى خزائن شمر كما هو الحال فى «تمنع» وتجرى الحسابات بين الحكومتين على رسوم المعاملات التجارية المتبادلة ،

---

(١) تمنع : كانت كعاصمة أو مركز تجارى للدولة حيث توضع بها الأموال الحكومية .

(٢) شمر : مدينة أجنبية عن قتبان

(٣) قتبان : كانت إحدى الدول اليمنية وكان القتبانيون يسكنون الأقسام الغربية من جنوب اليمن وأن منطقتهم كانت تمتد إلى باب المندب وكانت هذه الدولة قائمة أبان الدولة السبائية وكانت مدة قيام دولة قتبان تمتد من سنة ألف ق. م إلى قبيل ولادة المسيح . (الجنس العربى جزء ١ ص ٦١)

ويدفع الزائد من الرهونات الموجودة فى خزائن الطرف المدين كذلك كان هناك نص يفيد :

١ — تعيين أسواق خاصة فى أماكن خاصة تعينها الحكومة .

٢ — كانت هناك بعض سلع تحتكرها الحكومة ، وكانت تسمح أو لاتسمح بتصديرها بحسب ماتقتضيه ظروف الدولة[1]

سبأ

كانت سبأ من الدول التجارية التى اشتهرت قبل الميلاد وكان سد مأرب يروى معظم أراضيها فزاد ذلك من ثروتها بخلاف ماكانت تحصل عليه من التجارة .

وبقى الحال على ذلك حتى تهدم السد فانحطت الزراعة .

أضف إلى ذلك قيام بعض الدول المجاورة بمنافستها تجارياً وأدى ذلك إلى ضعف هذه الدولة .

ولقد جاء ذكر سبأ فى الكتب المقدسة ووصفت لنا ماكانت عليه من تقدم وازدهار .

جاء فى التوراة مايأتى :

« وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل »[2].

أما القرآن فقد ذكر سبأ وكيف كانت تعيش عيشة راضية وأنها على درجة عظيمة من الأهمية .

يقول الله فى كتابه العزيز[3]:

---

(١) تاريخ الجنس العربى الجزء الأول ص ٦٦

(٢) التوراة سفر الملوك الأول اصحاح ١٠ آية ١

(٣) القرآن الكريم سورة النمل آية ٢١

« فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به (٢١) وجئتك من سبأ بنبأ يقين (٢٢) إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم »

اليمن

تقع اليمن (بلاد العرب) السعيدة فى الجنوب الغربى من بلاد العرب بالقرب من باب المندب .

واشتهرت اليمن منذ العصور القديمة بالتجارة لعدة أسباب :

١ — ملتقى الطرق التجارية الآتية من الهند والشرق الأقصى والصومال والحبشة والقوافل الآتية من الشمال (الشام ومصر) .

٢ — موقعها على البحر الأحمر ، فكانت السفن التى تمر فى البحر الأحمر ترسو بها فتزيد من حركتها التجارية .

٣ — تقدم الزراعة بها حيث ينزل الأمطار بها فى بعض فصول السنة مما ساعد أهلها على الزراعة .

ويكفى أن ندلل على أهمية اليمن من الناحية الاقتصادية بالحادثة الآتية :

أراد الإمبراطور أغسطس الرومانى أن يقضى على أهمية اليمن التجارية فأرسل حملة على يد جاليوس واليه بمصر وحشد لها جيشاً كبيراً من مصر والأنباط إلا أن هذه الحملة فشلت فشلا ذريعاً وتكبد الجيش الرومانى خسائر فادحة ، وأصابهم الأمراض الكثيرة التى فتكت بمعظم رجال الجيش .

وكان الغرض من هذه الحملة هو سيطرة الرومان على طرق التجارة التى كانت اليمن تهيمن عليها .

الباب الثانى

الشرائع القــديمة

وما يتعلق منهــا بالتجارة

الشرائع القديمة

وعلاقتها بالتجارة

تكلمنا فى الفصول السابقة عن بعض الدول التى اشتهرت بالنشاط التجارى فى العصور القديمة ، إلا أن نشاطها لم يقتصر على مزاولة التجارة ولكن فضلها على العالم يرجع إلى ماتركته بعض هذه الدول من شرائع وقوانين أنارت لنا الطريق ، وعرفتنا مابلغته هـــذه الدول من فنون وعلوم تجارية .

وسنبين هذه القوانين متبعين ظهورها من الناحية التاريخية .

قانون أورنمو :

أصدر هذا القانون الملك أورنمو مؤسس أسرة أور الثالثة فى سومر حوالى سنة ٢٠٥٠ ق.م ، ويعد هذا القانون أقدم وثيقة قانونية فى العالم وتسبق شريعة حمورابى بحوالى ثلاثة قرون ، وقد احتوى هذا القانون على مواد تتعلق بالدخل والقصاص والغرامة والتعويض المادى ، والموازين والنقود والتأمين الاجتماعى وإلغاء المكوس .

ويقول الدكتور محمد عبد القادر محمد عن هذا القانون .

« إنه يعتبر أول قانون يحتوى على التعويض المادى بدلا من القصاص الجسمانى وبذلك وضع مبدأ الدية[1] .

كما وضع هذا القانون طرقاً متعددة لانعاش التجارة دون أن يعتمد على فرض الضرائب الباهظة .

---

(١) الساميون فى العصور القديمة تأليف محمد عبد القادر محمد ص ٧٩

قانون لبيت اشتار (عشتار) :

أصدره الملك لبيت اشتار خامس ملوك أسرة أبسن ويعتبر هذا الملك من ملوك سومر وأكد الذين عملوا كل مافى وسعهم لمصلحة بلادهم .

ويرجع عهده إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر ق. م

ويرى المؤرخون أن هذا القانون صدر فى السنة الحادية عشرة من حكمه وهذا القانون يسبق قانون حمورابى بمائة سنة تقريباً[١] .

وقد احتوى هذا القانون على مواد تخص الزراعة والتجارة والزواج والميراث والايجار .

شريعة أشنونا :

أصدر هذا القانون الملك بلالاما لتنظيم شؤون مملكته بعد سقوط أسرة أور الثالثة أى بعد شريعة أورنمو بحوالى مائة سنة ، وقد احتوى هذا القانون على مواد كثيرة تخص :

١ — النقل .

٢ — الفائدة .

٣ — التاجر وحقوقه وواجباته .

٤ — المرأة وكيف أعطاها القانون حق الاشتغال بالتجارة فمثلا كان يطلق عليها اسم « سابيتوم » وكانت تتخصص فى تجارة الكحول .

٥ — احتوت مقدمة هذا القانون على قائمة بأسعار الحاجيات الضرورية للحياة وجدولا بالايجارات والأجور المحددة[٢] فاعتبر من أوائل القوانين التى صدرت خاصة بالأسعار والتسعيرة .

(١) مصر والشرق الأدنى القديم (حضارة العراق القديم) تأليف دكتور نجيب ميخائيل إبراهيم ص ٤٩

(٢) الساميون فى العصور القديمة

قانون حمورابى

يعتبر قانون حمورابى أشهر القوانين التى وصلتنا عن الحضارات القديمة وإن كان يعتبر متأخراً عن قانونى أورنمو واشنونا إلا أن شهرة قانون حمورابى ترجع إلى كثرة ما احتواها من مواد وإلى أنه وصلنا كاملا إذ بلغ عدد موادە ٢٨٢ .

وحمورابى هو سادس ملوك الأسرة البابلية القديمة (الأمورية) وقد حكم ٤٣ سنة من حوالى سنة ١٧٢٨ — ١٦٨٦ ق . م وأصدر هذا القانون فى السنة الثانية من حكمه .

وقد اكتشفت البعثة الفرنسية التى قامت بالحفر فى مدينة سوس هذا القانون سنة ١٩٠٢ ميلادية فكشف النقاب عن أحسن ماوصل إليه الإنسان من رقى ومدنية .

ولقد كان هذا القانون ضربة قاضية لليهود فيما كانوا يدعون من أن توراتهم — نقصد التوراة الحالية — بل هى أساس المدنية إلا أنه باكتشاف هذا القانون ظهر أن توراة اليهود نقلت الكثير مما احتواه قانون حمورابى .

<u>أمثلة من مواد قانون حمورابى :</u>

مادة ٩ — تتكلم عن البضاعة المسروقة وحكم إثباتها :

« أن عثر على بضاعة مسروقة من رجل فى حيازة آخر وأقسم هـذا الأخير أن بائعاً باعنى إياها وقت الشراء فى حضرة شهود وأعلن صاحب المسروقات سأقدم الشهود على بضاعة مسروقة فإن المشترى مادام قد قدم

البائع والشهود الذين تمت الصفقة بحضورهم كما قدم صاحب البضاعة الشهود على ملكيته لها فإن القضاة يفصلون فى النزاع الشهود الذين تم الشراء بحضورهم والشهود الذين يشهدون بملكيتها لصاحبها يشهدون بذلك فى حضرة الإله فإذا ثبت أن البائع لص فإنه يقتل أما صاحب البضاعة المسروقة فيستردها وأما المشترى فيأخذ من أملاك البائع المال الذى دفعه .

مادة ٥٠ — إذا رهن حقلا مزروعاً بالحبوب أو حقلا استنبت به السمسم فإن صاحب الحقل نفسه يأخذ الحبوب والسمسم الذى أنتجه الحقل ثم يرد المال وأرباحه إلى التاجر .

مادة ٥١ — إذا لم يكن لديه من المال ليرده فإنه يعطى التاجر مقابل ماله حبوباً أو سمسماً بسعر السوق الذى يحدده الملك ذلك المال الذى استدانه التاجر مع فائدته .

مادة ٩٨ — إذا سلم رجل لآخر مالا للشركة فإنهما يقتسمان مناصفة فى حضرة الإله الربح أو الخسارة الناجمين .

مادة ١٠١ — إذا لم يكن قد حقق ربحاً حيث ذهب فإن التاجر المتجول يدفع للتاجر مضاعفاً ما اقترضه من مال .

مادة ١٠٥ — إذا كان التاجر المتجول مهملا ولم يحصل على إيصال مختوم عن المال الذى دفعه للتاجر فإن المال بغير إيصال مختوم قد لا يضاف للحساب .

مادة ١٠٧ — إذا عهد تاجر بشىء إلى تاجر متجول ثم أعاد هذا إليه ما أعطاه فإنه فى حالة حدوث نزاع بينهما وإنكار التاجر المتجول أنه تسلم شيئاً فإنه على التاجر المتجول أن يثبت ذلك بالقسم ضد التاجر فى حضرة الإله والشهود وعندئذ يدفع التاجر ستة أمثال الشىء موضوع هذا النزاع .

مادة ٢٧٤ — إذا أراد رجل أن يستأجر صانعاً فانه يدفع له يومياً كأجر له « ش » من الفضة وكأجر لصانع الطوب « ش » من الفضة وكأجر النساج « ش » من الفضة وكأجر لصانع الأختام « ش » من الفضة وكأجر الجواهرجي « ش » من الفضة وكأجر الحداد ... « ش » من الفضة وكأجر لصانع الجلود « ش » من الفضة كأجر لصانع السلال « ش » من الفضة وكأجر للبناء .

مادة ٢٨٠ — إذا اشترى رجل فى بلد أجنبية عبداً أو أمة رجل آخر ثم حين عاد إلى بلده وتعرف صاحب العبد أو الأمة على عبده أو أمته فإنه إذا كان العبد أو الأمة من أهل البلد يحرران دون مال .

الشرائع الآشورية

ترك الآشوريون شرائع كشرائع (قانون حمورابى) حمورابى ولكنها لم تدون على لوحة كشرائع حمورابى بل دونت على لوحات من الطين تهشم جانب منها الأمر الذى جعلها لم تصلنا كاملة وقد عثرت عليها البعثة الألمانية فى حفائرها فى أشور القديمة فيما بين سنة ١٩٠٣ ، سنة ١٩١٤ ميلادية .

وقد احتوت هـــذه الشرائع الآشورية على مواد تتعلق بالسرقة والعقوبات والزراعة والرهن والرشوة والتركة وتحرير العبيد والربا والميراث والزواج والوديعة وخيانة الصانع البضاعة التى تحت يده .

وننقل لكم بعض مواد للاطلاع عليها على سبيل المثال :

مادة ٣ — إذا أعطى رجل وهو فى سياحة ملابسه لغسال يغسلها ثم قال هذا « إنها ضاعت » فإنه يعوض صاحبها بالتمام عما فقد ومع ذلك فإذا كان قد باعها وعرف أمر ذلك فى المدينة فإنه عند إقامة الدعوى ضده وإثباتها

أو عند العثور عليها فى حوزة المشترى فان الرجل يدفع ... ضعفاً عن المتاع المسروق .

مادة ٤ — إذا قسم أبناء تركة أبيهم البساتين والآبار على الأرض يختار الإبن الأكبر ويأخذ حصتين ثم يختار إخوته واحد بعد الآخر أنصبتهم الإبن الأصغر يقسم أى أرض منزرعة مع كل محصولها ثم يختار الإبن الأكبر حصة ثم يلقى القرعة مع إخوته للحصة التالية [١].

(١) اعتمدنا فى ذلك على كتاب مصر والشرق الأدنى القديم ـ حضارة العراق القديمة للدكتور نجيب ميخائيل ابراهيم .

الباب الثالث

اليهود يشتغلون بالزراعة

اليهود يشتغلون بالزراعة

اتخذ اليهود الرعى عملا لهم وحرفة ثم أخذوا يشتغلون بالزراعة بعد ذلك وفضلوها على أى حرفة أو مهنة أخرى حتى أنهم فضلوها على التجارة ومظهر ذلك التفضيل أن التوراة وهى كتابهم المقدس لم تتكلم عن التجارة بينما حوت الكثير عن الزراعة .

كما أن علماء التلمود وقفوا ضد الاشتغال بالتجارة واعتبروها فى الدرجة السفلى .

ثم جاء أنبياء بنى اسرائيل وقالوا إن التجارة تؤدى إلى اختلاط اليهود بالشعوب الأخرى وهذا يؤدى إلى نشر الوثنية ...

تلك هى أفكارهم السخيفة وعقليتهم المنحطة ...

وسنبين فى هذا الفصل الآراء المختلفة التى تبين كيف أن كتب اليهود المقدسة وكذلك آراء فلاسفتهم فضلت الزراعة على التجارة .

الأدلة المتعددة على اشتغالهم بالزراعة

التوراة وما جاء بها من قوانين تتعلق بالزراعة

(ا) الشميطا أو الإبراء هو قانون بمقتضاه يتنازل الدائن الاسرائيلى عن ديونه أو فوائدها للمدين الاسرائيلى فى سنة الابراء وقد تكلمت التوراة عن هذا القانون محبذة الزراعة على غيرها ولتبين لنا أهمية الزراعة ويمكن أن نعطى القارىء ما جاء خاصاً بالزراعة فى سفر التثنية اصحاح ١٥

١ — « فى آخر سبع سنين تعمل إبراء » .

٢ — وهذا هو حكم الإبراء يبرىء كل صاحب دين يده مما أقرض صاحبه لا يطالب صاحبه ولا أخاه لأنه قد نودى بإبراء الرب .

وجاء فى سفر اللاويين اصحاح ٢٥

« ست سنين تزرع حقلك وست سنين تحصد كرمك وتجمع غلتك وأما فى السنة السابعة فيكون للأرض سبت عطلة سبتاً للرب لا تزرع حقلك ولا تقضب كرمك .

« احترز من أن يكون مع قلبك كلام لئيم قائلا قد قربت السنة السابعة سنة الإبراء وتسوء عينيك بأخيك ولا تعطيه فيصرخ عليك إلى الرب فيكون عليك خطية » .

وجاء فى سفر الخروج اصحاح ٢٣ .

« وست سنين تزرع أرضك وتجمع غلتها وأما فى السنة السابعة فتريحها وتتركها ليأكل الفقراء من شعبك وفضلتهم تأكلها وحوش البرية تفعل بكرمك وزيتونك » .

شرح الإبراء

الإبراء هو التنازل أو الترك أو التخلى عما للدائن من ديون وفوائد فى السنة السابعة والابراء على أنواع :

١ — أن يتخلى الدائن عن دينه لشقيقه أو لأخيه فى الديانة الاسرائيلية أو المذهب وذلك فى السنة السابعة وهى سنة الابراء .

٢ — حكم الابراء هذا هو أن يتخلى كل دائن عن دينه الذى له عند زميله سواء أكان شقيقه أو أخيه فى الديانة ولا يضايقه بالمطالبة بمعنى أنه يبرىء صاحبه من دينه أو فوائده وذلك فى كل سنة سابعة وتسمى سنة الابراء .

يرمى قانون الشيطا أو الابراء إلى إلغاء جميع الديون والفوائد فى السنة السابعة ولهذا القانون آثار ضارة للتجارة للأسباب الآتية :

أولا : أن الدائن يتنازل عن ديونه أو عن فوائد ديونه على حد تفسير بعض العلماء إذا جاءت السنة السابعة .

هذا المبدأ إن كان فى صالح المدينين إلا أنه ليس فى صالح الدائنين ومن هنا كان هذا القانون سبباً فى تجميد الحياة الاقتصادية أو تحديد التعامل من الناس لأنه لا يعقل أن يتنازل الدائن عن ديونه فى يوم من الأيام .

(ب) أن الدائنين لن يقرضوا المحتاجين فى أوقات معينة . كما أن التجار لن يبيعوا بضائعهم بالأجل خوفاً من حلول سنة الابراء فتضيع عليهم أموالهم حيث ستقف الحياة التجارية والاقتصادية .

(ج) عدم التأجيل :

يقضى هذا القانون بالتنازل ولم ينص على تأجيل الديون إذ لو قضى بتأجيل الديون إلى ما بعد السنة السابعة لهان الأمر على الدائن ولما توقفت حركة المديونية قبل السنة السابعة .

(د) إيقاف حركة التفليس :

الافلاس عمل بمقتضاه يعاقب المدين على عدم دفع ديونه للدائن ونتيجة هذا العقاب هو حرمان المدين من مباشرة أعماله مدة معينة ويكون ذلك رادعا لكل من تسول له نفسه عدم دفع ما عليه للغير .

أما قانون الابراء فإنه جاء لمصلحة المدين إذ أنه يقول بعدم الدفع دون أن يكون للدائن حق رفع دعوى إفلاس على المدين الذى لم يدفع .

أثر قانون الإبراء على الزراعة

١ — تشجيع الزراعة : وذلك بتحويل الناس من الاشتغال بالتجارة إلى الزراعة لأن التاجر سيجد نفسه مضطرا إلى التنازل عن أمواله فى السنة السابعة فيتحول إلى الزراعة حيث يستثمر أمواله فى أراض يزرعها بدلا من أن يخسر أمواله فى الإقراض .

٢ — الأرض تبقى دون زراعة فى السنة السابعة : وكل مايقيح فيها للفقراء كما أن عدم زراعتها فى السنة السابعة سبب لتقويتها فى السنة التى تأتى بعد هذه السنة وهذا نظام يخدم الزراعة .

٣ — يرى الأستاذ هانى : Haney

« إن السنة السابعة (الشميطا) أى الإبراء نظام زراعى اهتمت به التوراة ويعنى أن الله تعالى هو المالك الأصلى للأرض »[١].

اليوبيل

اليوبيل عيد قومى عند اليهود يقام كل خمسين سنة ويحتفل به اليهود فى السنة الخمسين .

جاء فى التوراة فى سفر اللاويين الإصحاح ٢٥ فى الآية ١ ما يأتى :

« وتعد لك سبعة سبوت سنين سبع سنين سبع مرات فتكون لك أيام السبعة السبوت السنون تسعا وأربعين سنة ثم تعبر بوق الهتافات فى الشهر السابع فى عاشر الشهر فى يوم الكفارة تعبرون البوق فى جميع أرضكم

---

(١) History of Economic thoughts by Haney

وتقدسون السنة الخمسين وتنادون بالعتق فى الأرض لجميع سكانها يكون لكم يوبيلا وترجعون كل إلى ملكه وتعودون كل إلى عشيرته » .

يوبيلا تكون لكم السنة الخمسون لاتزرعوا ولا تحصدوا زريعها ولا تقطعوا كرمها المحول .

فى سنة اليوبيل ترجعون كل ملكه فتى بعت صاحبك مبيعا أو اشتريته من يد صاحبك فلا يغبن أحدكم أخاه .

والأرض لاتباع بتة لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندى بل فى كل أرض ملككم تجعلون فكاكا للأرض .

معنى اليوبيل :

كل خمسين سنة ترجع الأرض إلى من كانت فى يده من خمسين سنة وهكذا ترجع الأرض إلى من كان يملكها من قبل[1].

اليوبيل يعمل لمصلحة الزراعة

١ — حفظ ملكية الأرض للقبيلة أو العائلة .

٢ — منع الفروق الكبيرة فى الملكية الزراعية والأراضى ترجع كل خمسين سنة إلى ما كانت عليه من تقسيم فى أول توزيع .

٣ — حفظ الأراضى الزراعيـة فى يد اليهود ولا تنتقل إلى الوثنيين أو الأجانب .

٤ — جعل الناس مرتبطين بالأراضى وقلة الهجرة إلى الخارج لأن من يهاجر سيخسر أرضه فى اليوبيل .

---

(١) انظر شرح هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب الربا عند اليهود تأليف السيد محمد عاشور :

٥ — إنقاص سعر الأراضى بالتدريج كلما قربت السنة الخمسين .

٦ — جعل النواحى الاجتماعية تتأثر بالنواحى الزراعية كما فى حالة الزواج من الداخل وحالة زواج اليبوم وحالة نظام الأرض وحرمان البنت من الزواج(١).

٧ — الأرض تعتبر إيجار وليست ملكا لأحد .

اليوبيل ضرر التجارة

١ — اليوبيل يمنع من الإقراض قرب السنة الخمسين إذ هناك تنازل إجبارى من الدائن إلى المدين .

٢ — تجميد للحياة الاقتصادية والنشاط التجارى وذلك لأن السنة الخمسين تأتى مباشرة بعد السنة السابعة فيكون لدى المدين فرصة سنتين بدلا من سنة .

٣ — العيوب المضرة بالتاجر فى حالة الشميطا تتكرر فى حالة اليوبيل

٤ — عدم التساوى فى المعاملة بين طبقات الشعب ذلك أن هناك مدنا خاصة جعلت للاوبن (طبقة الكهنة) لايسرى عليها قانونا الشميطا واليوبيل

٥ — التقلقل والتردد فى تطبيق هذين القانونين فى بعض العصور جعل الكثيرين لايؤمنون بهذين القانونين مما جعل الحياة التجارية فى تقلقل دائم ذلك أن هذا القانون كان معمولا به فى عصر القضاة كما يدعى بعض علماء اليهود إلا أنه لم يكن معمولا به فى عصر الأنبياء حتى أن نحميا عند رجوعه من السبى لم يجد هذين القانونين مطبقين فى إسرائيل وأراد تطبيقهما لم يتمكن من تطبيقهما إلا مرة واحدة كما جاء فى سفره فى الإصحاح ١٠ : ٤٣

---

(١) انظر هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب مركز المرأة فى الشريعة اليهودية تأليف السيد محمد عاشور .

وكذلك لم يعمل اليهود بهذين القانونين فى عهد البطالسة أو فى جزيرة الفنتين « جزيرة الفيلة » يقول المؤرخ تشيركوفر إن اليهود فى مصر لم يعملوا بهذين القانونين »[1].

التلمود وما جاء به

شجع علماء التلمود والزراعة فى كثير من أقوالهم بينما لم يحبذ التجارة بل جعلوها فى الدرجة الأخيرة من المهن وسنأتى بأقوال بعض علماء التلمود كأمثلة تدلل على ذلك : —

١ — تشجيع الإقراض الزراعى :

يقول الحاخام نحمان (سنة ٢٣٥ — ٣٣٠م).

« إن الإقراض الزراعى لتحسين الأراضى وزيادة الإنتاج مفضل على الإقراض التجارى لزيادة الربح[2].

ويقول أيضا « إن من يزرع أرضه يجد خبزا كثيرا .

٢ — يقول الحاخام أيا لابنه وهو يعظه :

« يابنى إنه من الأفضل أن يكون لك حقل صغير من أن يكون لك متجر كبير .

٣ — يقول أحد الحاخاميم فى ذم التجارة ما يأتى :

« إن هناك أربع حرف لاينظر إلى دخلها نظرة شرف وكرامة وهذه الحرف هى :

١ — حرفة الكتابة ٢ — حرفة الترجمة .

---

(١) اليهود فى مصر للدكتور مصطفى عبد العليم س ١١٠

(٢) Les juifs et La vie Ec par Warner Sombart

٣ — عملية أكل اليتامى (يقصد إدارة أموال اليتامى) .

٤ — مايربحه الإنسان من التجارة الدولية (التجارة خارج البلد) .

وبذلك يضع التجارة الخارجية موضع ريبة وقد يكون هذا راجعاً إلى فكرة كره اليهود للشعوب الأخرى وإلى فكرة الاستعلاء أو إلى أنهم كما يظنون شعب الله المختار ، فلا يتعاملون مع الشعوب الأخرى .

٤ — يقول التلمود « إنه كلما قلل الإنسان من التجارة كان ميله إلى التوراة أكثر » .

٥ — شوتفين : كلمة آشورية تفيد معنى الشركة فى كل شىء سواء شركة تجارية أو زراعية أو غيرها من أنواع الشركات إلا أن التلمود أطلق هذا اللفظ على الشركة الزراعية أى الشريك فى الأرض فقط ولم يحبذ استعمالها فى التجارة لأنه يكره العمل فى التجارة وهذا دليل على تطويع الألفاظ للمعنى الزراعى وعدم تطويعه للمعنى التجارى مما يدل على تسليط الفكر الزراعى على عقلية علماء التلمود .

٦ — يقول رجال التلمود « إنه ولو أن العمل التجارى يدر ربحا إلا أنه يذهب سريعا وعليك أن تقتنى الأرض »(٢).

٧ — نظر بعض رجال التلمود إلى التجارة البحرية نظرة مريبة وأنها غير مرغوب فيها ولم يحبذوا الاحتراف بها ويقولون « إن الذى يشترى بعض الفواكه من السوق كمن فقد أمه وأن من يشترى خبزا من السوق كمن يحفر قبرا ليدفن فيه ومعنى ذلك أن تجارة التجزئة عندهم لم تكن مقبولة(٢) ويعللون ذلك بأن ربح التجارة الخارجية يأتى بمعجزة والمعجزة

---

(١) Yeb 63-a Mishna Talmud

(٢) كلام الحاخام حاى بن يوحاى نقلا عن كتاب اليهود والحياة الاقتصادية .

لا تأتى كل يوم وبذلك فهى ليست مضمونة فى كل وقت كما يقولون أيضا ، إن هناك أنواعا من الدخل مفصلة ولكن التجارة ليست منها » .

تثبت أقوال بعض المؤرخين الذين نادوا بأن اليهود ليسوا تجار .

يقول الأستاذ هانى :

كانت الزراعة أهم ما اشتغل به اليهود فى العصور القديمة واستمر ذلك حتى السبى البابلى سنة ٥٨٦ ق . م(١).

٢ — يقول المؤرخ دانيال « فالى » :

« الديانة التى نزلت على موسى وليس لديهم أى نظم اقتصادية بل شغلوا أنفسهم بفلسفات دينية »(٢).

٣ — يقول الأستاذ لويس اندريه :

« لم يكن اليهود تجارا فى أى وقت ما إلا فى وقت قصير هو عصر سليمان إذ تمكن من أن يقيم علاقات تجارية كما استفاد من الطرق التجارية التى تمر بين بابل ومصر والتى كانت تدفع رسوما نتيجة مرورها بفلسطين(٣).

٤ — يقول الأستاذ بول ريسون:

المعروف أن اليهود كانوا رعاة ثم اشتغلوا بالزراعة بعد أن تعلموها من المصريين أثناء إقامتهم فى مصر وجاء موسى بالتوراة ولم يكن اليهود يميلون إلى التجارة كما أن التوراة التى بين أيدينا لم تشتمل على شىء من النظم التجارية(٤).

---

(١) History of Economic thoughts by Haney

(٢) Petite Histoire des grande doc Par Daniel valley

(٣) Histoire Ec de L'antiqueté Par Louis andré

(٤) Histoire du Commetce Par Paul Raisson p 7

ويضيف إلى قوله « لم تكن قوانين موسى تحبذ التبادل التجارى وذلك لأن الدين اليهودى يدعى بأن اليهود هم شعب الله المختار وأنه يجب عليهم الا يتعاملوا مع الشعوب الأخرى لأن اليهود كما تظن التوراة أعلى درجة من الشعوب الأخرى وبهذا أصبح فكرة الاستعلاء وفكرة التعصب الجنسى عقده فى فكرتهم عن التجارة » .

٥ — يقول المؤرخ استفسن :

« أما بالنسبة لليهود فكانوا حتى هذا الوقت « السبى » شعب رعاة من زراع ولا يمكن اعتبارهم تجاراً »[١].

٦ — يقول المؤرخ كليف راى :

إذا بحثنا تاريخ اليهود فى الزمن القديم نجد أنهم لم يكونوا من الشعوب التى كانت تشتغل بالتجارة وإن كنا اليوم نراها تشتغل بها ومن وصف التوراة للشعب اليهودى يمكن أن نقول أنهم كانوا يشتغلون بالرعى والزراعة وظلوا كذلك حتى عهد الرومان اذ لم يعدوا فى نظارهم ضمن الشعوب التجارية[٢].

٧ — يقول العلامة هنرى هين :

« كان اليهود فى الأصل شعبا زراعياً حتى التشتت « دياسبورا » وكان هذا التشتت فى القرن الأول الميلادى وبعد خراب الهيكل الثانى بل انهم بقوا زراعاً حتى القرن السادس الميلادى »[٣].

---

(١) Principle praclice of Commerce by Stephmjon

(٢) History of Commerce by Clive Day p. 12

(٣) La vie Ec des Les juifs p. 390

٨ — يقول يوسيفوس :

« إنهم حتى أيامه لم يكن اليهود قد أخذوا التجارة حرفة » .

ويقول أيضاً نحن لا نسكن دولة بحرية ونحن لا نحترف تجارة بحرية ولا أى نوع من التجارة .

ويعلق أحد المؤرخين على كلام يوسيفوس بقوله: إن كلام يوسيفوس حقيقة لامراء فيها .

٩ — جاء فى كتاب اليهود فى العهد القديم والمتوسط والحديث ما يأتى :

« لم يكن عند اليهود أصلا ميل إلى التجارة إذ كانوا يشتغلون رعاة وزراع ولم تكن أعمالهم التجارية ذات بال حتى أنها لم تسترع أنظار الناس لعدم أهميتها وكان عزوفهم عن التجارة وابتعادهم عنها حتى ما بعد السبى وإلى عهد الاسكندر ثم بدأوا بعد ذلك يحترفون التجارة » .

الباب الرابع

موقف اليهود من الأعمال التجارية

(كراهية اليهود للتجارة)

كراهية أنبياء بنى إسرائيل للتجارة

وقف الكثير من أنبياء بنى إسرائيل موقف العداء من التجارة فعارضوا العمل بها سواء أكانوا أشخاصا أم دولا .

وقد قسمنا الكلام فى هذا الموضوع إلى فصلين :

الفصل الأول : لإيراد بيان بالآيات والإصحاحات التى تكلم بها كل نبى فى سفره عن التجارة حتى يسهل على القارىء الرجوع إليها فيما لو أراد قراءتها بالتفصيل .

والفصل الثانى : خصصناه لإيراد بعض الأفكار التى أبداها عن التجارة بعض هؤلاء الأنبياء بالتفصيل كمثال عما كان يكمن فى قلوبهم من حقد نحو التجارة والمشتغلين بها .

بيان بالآيات التى جاء بهـا

الأنبياء وغيرهم ضد التجارة

عاموس : ١٥/٣ ، ٤/٤ ، ١١/٥ ، ٧/٧ ، ١٤/٨ ، ١٣/٩ ، ٤/٢٦[1] .

ميخا : ٥٩/٢١ ، ٢ ، ٣

هوشع : ١٤/٨ ، ١٢/٣ ، ١٢/٧و٨ ، ١١/٢٣

اشعيا : ١٥/٢ ، ٣٦/٢ ، ١٢/٢ — ١٦ ، ٨/٥ ، ١٠/٩ ، ١/١٧ — ٣ ،
٨/٢٣ ، ١١/٣٣ ، ١/٣٥ ، ٤٥ ، ٦/٦٠

زكريا : ١١/٦ ، ٧/١١ ، ٢١/١٤

حزقيال : ١٥/٣ — ١٥ ، ٢٣/٥ ، ٢٩/١٦ ، ٢/٢٦ ، ٢٩/١٦ ، ٢٦/٢٤

نحميا : ٣٢/٣ ، ١٥/١٣ — ٢٢

صفنيا : ١١/١

أيوب : ١٥/١ ، ٣/٤ ، ١٨/٦ ، ٢٦/٩ ، ٦/٢١ ، ٦/٤١

عزرا : ١ ، ٤ ، ٦

امثال : ١٩/٧ — ٢٠ ، ١٥/١١ ، ٨/١٧ ، ١٦/٢٠ ، ٢٦/٢٢ ، ١٣/٣٧
٢٤/٣١

الجامع : ١١/٨ ، ١٥/١٧ ، ٢/٢٦ ، ٤/٢٩ — ١١ ، ٢٠/٢٦

أخبار : ٩/٢٩

القضاة : ١٧/٨

---

(١) الرقم الأول للاصحاح ، والرقم الثانى للآية .

النبي حزقيال :

« وقل لصور أيتها الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب إلى جزائر كثيرة هكذا قال السيد الرب .

يا صور أنت قلت أنا كاملة الجمال تخومك في قلب البحور

أبناؤك تمموا جمالك . عملوا كل ألواحك من سرو سنير

أخذوا أرزاً من لبنان ليصنعوه لك سواري . صنعوا من بلوط باشان مجاذيفك . صنعوا مقاعدك من عاج مطعم في البقس من جزائر كتيم . كتان مطرز من مصر هو شراعك ليكون لك راية الاسمانجوني والأرجوان

من جزائر اليشة كان غطاءك . أهل صيدون

وأرواد كانوا ملاحيك ... جميع سفن البحر

وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك » .

النبي حزقيال يتكلم عن ترشيش :

ترشيش تاجرتك بكثرة كل غنى بالفضة والحديد والقصدير والرصاص وأقاموا أسواقك . ياوان وتوبال وماشك هم تجارك . بنفوس الناس وبآنية النحاس أقاموا تجارتك ومن بيت توجرمة بالخيل والفرسان والبغال أقاموا أسواقك .

بنو دوان تجارك جزائر كثيرة تجار يدك

أدوا هديتك قروناً من العاج والآبنوس

آرام تاجرتك بكثرة صنائعك تاجروا في أسواقك بالبهرمان والأرجوان والمطرز والبوص والمرجان والياقوت . يهوذا وأرض إسرائيل هم تجارك

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ٢٧

تاجروا فى سوقك بحنطة منيت وحلاوى وعسل وزيت وبلسان
دمشق تاجرتك بكثرة صنائعك وكثرة كل غنى بخمر
حلبون والصوف الأبيض
ودان وياوان قدموا غزالا فى أسواقك ، حديد مشغول
وسليخة وقصب الذريرة كانت فى سوقك
ددان تاجرتك بطنافس للركوب
العرب وكل رؤساء قيدار هم تجار يدك بالخرفان والكباش
والأعتدة . فى هذه كانوا تجارك .
تجار شبا ورعمة هم تجارك بأفخر أنواع الطيب
وبكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك
حران وكنه وعدن تجار شبا وآشور وكلمد تجارك
هؤلاء تجارك بنفائس وأردية اسمانجونية ومطرزة
وأصونة مبرم محكومة بالحبال مصنوعة من الأرز بين بضائعك(1) .

حزقيال يتمنى ويتنبأ بزوال هذه المدن التجارية

ويظهر الحقد عليها

« سفن ترشيش قوافلك لتجارتك فامتلأت وتمجدت جداً فى قلب البحار. ملاحوك قد أتوا بك إلى مياه كثيرة . كسرتك الريح الشرقية فى قلب البحار . ثروتك وأسواقك وبضاعتك وملاحوك وربابينك وقلافوك والمتاجرون بمتجرك وجميع رجال حربك الذين فيك وكل جمعك الذى فى وسطك يسقطون فى قلب البحار فى يوم سقوطك . من صوت صراخ ربابينك تتزلزل المسارح وكل ممسكى المجذاف والملاحون وكل ربابين البحر

---

(1) سفر حزقيال إصحاح ٢٧

ينزلون عن سفنهم ويقفون على البر ويسمعون صوتهم عليك ويصرخون بمرارة ويذرون ترابا فوق رؤوسهم ويتمرغون فى الرماد ويجعلون فى الرماد ويجعلون فى أنفسهم قرعة عليك ... ويشكون بمرارة نحيباً مراً ... ويقولون أية مدينة كصور كالمسكنة فى قلب البحر وعند خروج بضائعك من البحار أشبعت شعوباً كثيرين بكثرة ثروتك وتجارتك أغنيت ملوك الأرض ، حين انكسارك من البحار فى أعماق المياه سقط متجرك وكل جمعك . . . التجار بين شعوب الأرض يصفرون عليك فتكونين أهوالا ولا تكونين بعد إلى الأبد(١) » .

والحقيقة أن هذه التنبؤات لم تتحقق وإن كانت صور وصيدا وترشيش وغيرها من الدول التى ذكرت قد ضعفت حقيقة إلا أن هذا الضعف حدث نتيجة التغير السياسى والتطور التاريخى .

كما أن أسفار هؤلاء الأنبياء كتبت بعد ضعف هذه الدول ولو أن هذه الأسفار كتبت وقت وجود هؤلاء الأنبياء اليهود لتبين لنا نتيجة تنبؤاتهم هل كانت ستتحقق أم لا .

أما وأن اليهود كتبوا توراتهم الحالية بأيديهم وفى زمن متأخر فلا تعرف نتيجة هذا التنبؤ الموهوم .

النبى صفنيا :

« ولولوا ياسكان مكبتش لأن كل شعب كنعان باد انقطع كل الحاملين الفضة(٢) » .

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ٢٧

(٢) سفر صفنيا ـ اصحاح ١ آية ١١و١٢

النبي زكريا : عن صور وصيدا وغزة وبلاد فلسطين :

« وقد بنت صور حصناً لنفسها وكومت الفضة كالتراب والذهب كطين الأسواق . هوذا السيد يمتلكها ويضرب في البحر قوتها وهي توكل بالنار ترى أشقلون فتخاف وغزة فتتوجع جداً وعقرون لأنه يخزيها انتظارها » .

ومن هذه الآيات نرى زكريا يقف ضد كنعان وفلسطين أيضاً ويكرههم .

النبي أشعيا يقف ضد دمشق ويقول :

« وحي من جهة دمشق يقول : هو ذا دمشق تزال من بين المدن وتكون رجمة ردم . . ويزول الحصن من أفرايم والملك من دمشق وبقية آرام »[1] .

ويقول عن صور وعن التنبؤ بخرابها ما يأتي :

« وحي من جهة صور . ولولي ياسفن ترشيش لأنها خربت حتى ليس بيت حتى ليس مدخل من أرض كتيم أعلن لهم اندهشوا ياسكان الساحل . تجار صيدون العابرون البحر ملأوك وغلتها زرع شيحور حصاد النيل على مياه كثيرة فصارت متجرة الأمم . اخجلي ياصيدون لأن البحر حصن البحر نطق قائلا لم أتمخض ولا ولدت ولا ربيت شبابا ولا نشأت عذارى . عند وصول الخبر إلى مصر يتوجعون عند وصول خبر صور . اعبروا إلى ترشيش ولولوا ياسكان الساحل . . .

من قضى بهذا على صور المتوجة التي تجارها رؤساء متسببوها موقروا الأرض . رب الجنود قضى به ليدنس كبرياء كل مجد ويهين كل موقري الأرض .

---

(١) سفر أشعيا إصحاح ١٧ آيات ١ — ٣

ويقول عن ترشيش :

ولولى ياسفن ترشيش لأن حصنك قد أخرب(١) .

ويقول النبي أشعيا عن كنعان ما يأتى :

« أمر الرب من جهة كنعان أن يخرب حصونها . وقال لاتعودين تفتخرين أيضاً أيتها المنتهكة المتعذرة بنت صيدون قومى إلى كتيم اعبرى هناك أيضاً لا راحة لك » .

أشعيا يتكلم عن كوش وتجارتها :

« هكذا قال الرب تعب مصر وتجارة كوش والسبئيون ذوو القامة إليك يعبرون ولك يكونون خلفك يمشون » .

النبي هوشع :

الكلام على الكنعانى :

« الكنعانى فى يده موازين الغش يحب أن يظلم .

فقال إفرايم إنى صرت غنيا . وجدت لنفسى ثروة » .

يقصد النبي هوشع بقوله :

إن الكنعانى وهو قد اشتهر بالتجارة اشتهر بالغش وذلك لأن التاجر يحمل معه دائماً موازين غش ومكاييل غش وهذا الغش يؤدى إلى ظلم الناس . ولذا فهو يكره أن يصبح اليهود تجارا حتى لا يغشون الناس وكان من الأفضل له أن يلفت الناس إلى استعمال الموازين الصحيحة وأن يعلمهم الأصول الصحيحة للتجارة .

---

(٢) سفر أشعيا اصحاح ٢٣ آية ١٤

(٤) سفر هوشع اصحاح ٢٦ آية ٧

كما أنه يعتب على افرايم وهو رجل يهودى لاشتغاله بالتجارة لأنها — فوق أنها تؤدى إلى ظلم الناس واستعمال الموازين المغشوشة — فإنها تؤدى إلى الغنى والثراء وهذا فى نظره ضرر على الدين اليهودى .

وهناك فكرة أخرى وهى أن اليهود إذا اشتغلوا بالتجارة مثل الكنعانيين فإنهم سيختلطون بالكنعانيين الوثنيين وهذا محرم عند اليهود .

النبى عاموس يتكلم عن صور :

هكذا قال الرب من أجل ذنوب صور الثلاثة والأربعة .

لا أرجع عنه لأنهم سلموا سبيا كاملا إلى أدوم فأرسل نارا على سور صور فتأكل قصورها .

وقال عن آروم :

هكذا قال الرب من أجل ذنوب أدوم الثلاثة والأربعة .

لا أرجع عنه ... فأرسل نارا على تيمان فتأكل قصور بصرة[1] .

ويقول عن التجارة :

اسمعوا هذا أيها المتهممون المساكين لكى تبيدوا بائس الأرض قائلين متى يمضى رأس الشهر لنبيع قمحا والسبت لنعرض حنطة لنصغر الأيفة ونكبر الشاقل ونعوج موازين الغش . لنشترى الضعفاء بفضة والبائس بنعلين ونبيع نفاية القمح[2] .

ويقول أيضاً عن الأسواق وما تنتج عنها من صخب وضرر :

« لذلك هكذا قال السيد الرب إله الجنود فى جميع الأسواق نحيب وفى

---

(١) سفر عاموس صحاح ١ آية ٩ – ١٠

(٢) سفر عاموس اصحاح ٨ آية ٤

جميع الأزقة يقول آه آه ويدعو الفلاح إلى النوح وجميع العار فى الرثاء الندب وجميع الكروم ندب » .

رجال الدين يفضلون الزراعة على التجارة

فضل رجال الدين الزراعة على التجارة ويظهر ذلك من تقسيمهم الأموال والممتلكات إلى أقسام بحسب أهميتها كما يأتى :

١ — التقسيم الأول :

(ا) الممتلكات الثابتة .

(ب) الممتلكات المنقولة .

(ج) النقود .

٢ — التقسيم الثانى :

(أ) الزراعة .

(ب) الصناعة التى تساعد على نمو الجسم .

(ج) الأعمال اليدوية .

(د) التجارة .

ومن هذا يستنتج أن التجارة احتلت مكانا أقل كثيرا مما احتلته الزراعة.

٣ — رأى الأستاذ هانى Haney [١] :

يقول الأستاذ هانى إن رجال الدين حبذوا الزراعة وفضلوها على التجارة وذلك يظهر مما يأتى :

(١) History of Ec. Thoughts by Haney

(ا) لم تكن التجارة أو الحرف محبذة بل كانت حقيرة .

٢ — ذكر الفلاحة فى كتاب المكابيين[1] بينما لم تذكر التجارة .

٣ — لم يكن هناك يهودى أصيل (حر) حتى السبى البابلى يشتغل بأى حرفة أو مهنة وأن التجارة والحرف كانت تعهد إلى العبيد .

٤ — قد يقال إن الملك سليمان قد قام بالتجارة ونظمها لكننا أثبتنا أن القائمين بالتجارة فى عهد الملك سليمان كانوا أجانب وأن الشعب اليهودى نفسه لم يقم بالتجارة لأنه لم يكن يعرف أساليبها .

٣ — الزراعة طوعت القوانين لمصلحتها :

كانت الزراعة عند اليهود سبباً فى جعل كثير من القوانين فى مصلحة الزراعة ولم تأت لمصلحة التجارة فنرى مثلا قوانين الزواج من الداخل وقانون عدم ترك الأرض الزراعية وقانونى الشميطا (الابراء) واليوبيل وغيرها من القوانين إنما تتعلق بالزراعة .

٤ — التجارة تؤدى إلى الانتقال والترحال وهذا يضر بالزراعة :

وهذا ما لا يتفق والنظم اليهودية .

هناك مظاهر متعددة عن تأخر اليهود من الناحية التجارية فى العصور المختلفه وأهم هذه المظاهر هى :

١ — لم يضرب اليهود النقود حتى السبى البابلى .

(١) المكابيون طائفة يهودية قامت بحروب ضد اليونان لاختلافات دينية من سنة ١٦٥ إلى ٦٠ ق . م . تقريبا ثم انتهت هذه الطائفة بسبب استيلاء الرومان على فلسطين .

٢ — أن كل ما ضربه اليهود من نقود كان فى عهد المكابيين إذ ظهرت عملة مضروبة فى عهد شمعون المكابى حوالى سنة ١٦٥ ق . م

٣ — جاء فى كتاب القاموس المقدس عن تأخر التجارة عند اليهود ما يأتى :

« أما تجارة اليهود الداخلية فكان معظمها أيام المواسم والأعياد وأنهم فى تلك الأوقات كانوا يبيعون المواشى الذبيحة ويصرفون الدراهم فى الهيكل » .

معوقات العمل بالتجارة عند اليهود

قلنا إن اليهود فضلوا العمل بالزراعة على العمل بالتجارة ونبين الأسباب والمظاهر المختلفة لذلك .

والآن نقدم بعض المعوقات التى أدت باليهود إلى عدم العمل بالتجارة .

١ — الديانة اليهودية :

لم تحبذ الديانة اليهودية التبادل التجارى وذلك لأن التوراة تدعى بأن اليهود هم شعب الله المختار وأنه يجب عليهم ألا يتعاملوا مع الشعوب الأخرى لأن اليهود يظنون أنهم أعلى درجة من غيرهم وأصبحت تلك الفكرة أساساً لفكرة التعصب الجنسى عندهم ونشأ عن ذلك مبدأ عدم الاختلاط بغيرهم من الشعوب وبالتالى عدم الاتجار معهم ونتيجة لذلك تكون التجارة فى ضيق الحـــدود أى القيام بين اليهود وبين بعضهم البعض فقط .

٢ — التبشير بالديانة ممنوع :

تمنع الشريعة اليهودية التبشير بالديانة اليهودية لاعتقادهم أن الدين

اليهودى نزل فقط لهم خاصة وليس لأحد غيرهم أن يعتنق الدين اليهودى لكان ذلك مما أدى إلى ضعف العلاقة بينهم وبين العالم الخارجى .

٣ — الجيتو :

الجيتو اختصار كلمة بورجتيو وهو بمعنى الحى . وأدت خيانة اليهود للدول التى كانوا يقيمون فيها أن جعلت هذه الدول تطردهم من بلادها أو أن يخصصوا لهما حيا خاصا بهم وأطلق على هذا فى كل مدينة أو دولة باسم الجيتو وأصبح الحى الذى يسكنه اليهود فى أى مدينة من مدن العالم يسمى « الجيتو » .

وكان من أثر الحياة فى الجيتو أن تولدت فى أنفسهم مرارة دفينة وغلبهم خوف متواصل جعلهم يتمسكون بكيانهم ويتعصبون لدينهم نتيجة تحديد هذا الحى(١) وأصبحوا لا يميلون إلى التعامل مع الأجانب .

٤ — النظم الدينية المتعددة :

إن نظام الميراث ونظام الزواج وما جاء بشأنهما فى التوراة والتلمود يؤدى إلى عدم التبادل وعرقلة التجارة كذلك كان نظام الملكية الفردية له أثره السىء على تقدم التجارة(٢) .

٥ — الانعزالية :

كان اليهود يميلون إلى الانعزال عن الشعوب الأخرى ظنا منهم أنهم أعلى درجة وأرقى جنسا وأدى ذلك إلى عدم التعامل بينهم وبين الشعوب الأخرى

---

(١) الأسرة بين الاقتصاد والدين للدكتور ثروت أنيس الاسيوطى .

(٢) مركز المرأة فى الشريعة اليهودية للأستاذ السيد محمد عاشور .

فتأخرت التجارة عند اليهود ونضرب مثلا على الانعزالية وأثرها فى معاملة الدول لليهود تلك المعاملة التى جرت عليهم وبالا وخزيا .

(أ) أنه عند مجىء اليهود إلى مصر فى زمن الفراعنة سكنوا فى جهة مدينة بلبيس التابعة لمحافظة الشرقية وكانت تسمى « جوشن » أو « حشمان الكبرى » وظلوا يرعون أغنامهم ولم يختلطوا بالمصريين إذ اعتبروا المصريين وثنيين ولم يشترك اليهود مع المصريين فى أفراحهم وأتراحهم وكان ذلك سببا فى كره المصريين لهم فظلوا رعاة ولم يقوموا بأى تجارة بينما لو اختلطوا مع المصريين لتعلموا فنون التجارة منهم .

الباب الخامس

الديانة اليهودية تقف ضد التجارة والأعمال التجارية

متى بدأ اليهود الأعمال التجارية

اختلف المؤرخون فى تحديد العصر الذى بدأ فيه اليهود الاشتغال بالتجارة . ونحن نقصد هنا بكلمة التجارة — التجارة التى تعتبر أحد مصادر الدخل القومى للدولة والتى تلعب دوراً هاماً فى حياتها الاقتصادية .

أما أن يقوم بعض الأفراد بالاشتغال بالتجارة لفترة ما فلن تعتبر ذلك نشاطاً اقتصادياً ولا يعتبر نوعاً من التنمية الاقتصادية .

أما إذا كانت التجارة القائمة فى دولة ما لها وزنها فى النشاط الاقتصادى للدولة فنى هذه الحالة يمكن أن توصف بأن هذه الدولة تجارية .

وإذا كان الأمر كذلك ففى أى وقت يمكن أن نقول إن اليهود بدأت تشتغل بالتجارة أو متى لعبت التجارة دوراً هاماً فى حياة اليهود الاقتصادية ؟

١ — يرى بعض المؤرخين أن اليهود بدأوا يشتغلون بالتجارة منذ عهد الجؤنيم أى منذ القرن الخامس الميلادى والذى بدأ فيه سقوط روما عندما غزاها المغيرون .

٢ — سفر طوبيا :

يظن بعض المؤرخين أن سفر طوبيا إحتوى بعض مواد عن التجارة إلا أنه لم يصلنا شىء عن هذا السفر إلا ما جاء فى كتاب جوشن همشبط[1] للعلامة يوسف كاروا إذ يقول إن الأوراق التجارية عرفها بعض رجال التلمود ودرسوها ويقولون إن طوبيا تكلم عنها فى سفره وهذا مايقوله مؤلف الكتاب .

---

(١) انظر ذلك بالتفصيل فى كتاب مركز المرأة فى الشريعة اليهودية تأليف الأستاذ السيد محمد عاشور .

« إنى معى ورقة بعشرة تالنت (قيمة نقدية) وأنى أودعت هذا المبلغ عند أحد الناس فإذا قدمت هذه الورقة فسوف يعطيك هذا المبلغ » .

٣ — يقول المؤرخ داى Day :

« إن اليهود ظلوا رعاة حتى قيام الامبراطورية الرومانية ولم يكونوا معتبرين حتى ذلك الوقت تجاراً » .

ومعنى ذلك أنهم بدأوا كشعب تجارى منذ قيام الامبراطورية الرومانية(١)

٤ — لم يكن اليهود حتى الحكم اليونانى لفلسطين قد قاموا بنشاط ملحوظ وإن قاموا فى عهد شمعون المكابى سنة ١٦٩ ق م بنشاطهم التجارى(٢) على أساس ضرب بعض النقود .

إلا أن دائرة المعارف اليهودية تقول إن هذا التقدم التجارى كان عبارة عن نقل بضائع من مصر إلى فلسطين وبالعكس وأن الأسواق كانت تعقد ثلاثة أيام فى الأسبوع الاثنين والثلاثاء والجمعة وكان بيت المقدس هو السوق المهم(٣) .

ومعنى هذا أن التجارة كانت نشيطة بسبب اشتغالهم بنقل البضائع المارة بفلسطين كما كان الحال أيام المماليك فى مصر .

٥ — بدأ اليهود يحترفون التجارة عند ما أصابهم الجوع نتيجة الزراعة التى أصابها الأعصار وقلة المطر وغيرها من الآفات فبدلا من الاعتماد عليها وموتهم جوعا أخذوا يبحثون عن مورد آخر ولكن هـــذا الوقت لم يحدد بعد .

---

(١) History of Commerce by Day p. 12

(٢) تاريخ سوريا ولبنان تأليف فيليب حتى

(٣) دائرة المعارف اليهوديه .

أثر حضارة الدول القديمة على اليهود

من الناحية التجارية

بينا فى الباب الأول كيف أن دولا كثيرة مثل بابل وكنعان وفينقية والاراميين اشتغلوا بالتجارة وضربوا فيها بسهم وافر وبينا الكثير عن شرائعهم وكيف أنها كانت لاتقل عن شرائع الدول المتقدمة فى هذا العصر الحديث وقد نقل اليهود الكثير من هذه الحضارات ويشهد بذلك ماجاء فى سفر دانيال وعزرا ونحميا وما جاء على لسان رجال الدين وعلماء التلمود .

أثر حضارة بابل :

كان أثر بابل عظيما على اليهود ويدل على ذلك ما نقله اليهود من علوم الفلك والحساب وتقسيم الزمن إلى ساعات وكذلك الموازين والمكاييل مثل الذراع والتالنت والشاقل .

وعرفت اليهود عن بابل المصارف ونظمها .

ولو قارنا ماجاء فى كتب اليهود وماجاء فى قانون حورابى وغيره من القوانين القديمة لظهر كيف نقل اليهود من تلك الحضارات .

ولنضرب بعض الأمثلة :

١ — ينص قانون حورابى على كيف يحصل المدين على حريته بعد مدة معينة وقد نقل اليهود هذا القانون .

٢ — الميراث : ينص القانون الاشورى على أن يرث الابن الأكبر نصيبين وقد نقل اليهود هذا القانون فى شريعتهم .

٣ — عقاب الزنا . . .

٤ — الأعياد : نقلوا نظم الأعياد وخصوصا الزراعية عن كنعان والمعروف أن كنعان نقلتها عن بابل .

تموز :

هو أشهر آلهة الزراعة فى كنعان وكان يطلق عليه اسم « أدونى » يعنى « سيدى » .

وقد أخذت كثير من الدول هذا الاسم واعتبرته من آلهتها فاليونان أخذته تحت اسم آدونيس وقد لعب دوراً هاماً فى أساطير البحر الأبيض .

كذلك أخذت اليهود هذا الاسم وأطلقت عليه اسم « أدون » بمعنى السيد حتى أنهم يعتبرون اسم الإله عندهم « أدون » فيقولون مثلا آدون عولام أى إله العالم أو سيد العالم .

ولقد كان تموز أو « آدون » كما قلنا إله الزراعة عند الساميين ولما كان اليهود قد تأثروا بالزراعة عند نزولهم بأرض كنعان (فلسطين) واشتغلوا بها بعد أن كانوا رعاة — كان لهم أن يتخذوا إله الزراعة إلهاً لهم أيضاً — لذا اتخذوا تموز أو أرون إلهاً واتخذوا الاسمين لشدة تأثرهما بآلهة الساميين فاتخذوا من أدون إلهاً ومن تموز شهراً من شهورهم السنوية ومازلنا حتى اليوم نرى اليهود يطلقون كلمة « أدون » بمعنى الإله وتموز على شهر من أشهر السنة اليهودية .

أما كون اليهود جعلوا تموز إحدى أشهر السنة فذلك يرجع إلى أن الساميين (بابل وأشور) جعلوا تموز الشهر السادس من السنة فى تقويم مدينة لجش بينما كان الشهر الثانى عشر فى تقويم مدينة أوما .

وعلى كل فإن تأثر اليهود بالكنعانيين كان شديداً والدليل على ذلك ما نقلوه عنهم من حرفة الزراعة وما عبدوه من آلهتهم مثل أدون « وتموز » وجعل تموز أحد أشهر سنتهم .

كنعان

اليهود والدروس المستقاة من حضارة كنعان وأثر ذلك على اليهود :

١ – التغيير فى الآلهة :

اختلط بنو اسرائيل بالكنعانيين فاشتغلوا بالزراعة وتعلموا منهم فنونها وكانت الآلهة السابقين لبنى إسرائيل كلها آلهة رعاة لسقط المطر وتنبت الكلأ وتتلقى الأضاحى ولم يكن لها أعياد تتناسب ومواسم الزراعة

ولما اشتغل اليهود بالزراعة وجدوا آلهتهم السابقة والتى كانوا يستخدمونها أثناء عهد الرعى أصبحت لاصلة لها بهم وكان لزاما أن يتخذوا آلهة تتناسب وحالتهم الزراعية الجديدة ولم يعد الدين السابق يتلاءم مع الاقتصاد الجديد فاندفع اليهود فى أحضان آلهة كنعان[١] .

وهذا التأثر الزراعى لاشك تبعه التأثر التجارى إذ تبعه اندماج وهذا الاندماج جعل اليهود يستفيدون مما وصلت إليه كنعان من حضارة هى أعلى كثيراً مما كانت عليه اليهود .

٢ – يقول الأستاذ أحمد عفيفى عن مدى تأثر اليهود الكنعانيين ما يأتى :

« والملحوظة الهامة الجديرة بالذكر هى أن تدرج إسرائيل منذ أيام داود وسليمان من نظام اقتصادى بدوى قديم إلى نظام زراعى وتجارى ونمو التجارة إلى المستوى الذى وصلت إليه فى القرن الثامن قبل الميلاد كان نتيجة تأثر شديد بالكنعانيين بل وبارشادهم حتى أن هوشع أجاد التعبير عن تأثر الإسرائيليين بالكنعانيين التجار حين يشبه أفرايم اليهودى بالكنعانيين[٢] » .

---

(١) الأسرة بين الاقتصاد والدين للدكتور ثروت أنيس الأسيوطى .

(٢) رسالة الماجستير عن عاموس النبى – للأستاذ أحمد عفيفى المدرس بكلية آداب عين شمس ص ٥٨

النقابات :

كانت الصناعة فى كنعان كالتجارة متقدمة تقدماً كبيراً وكان لذلك أثر ملحوظ على قيام الصناعات والحرف عند اليهود ونشأ عن ذلك ظهور عدد كبير من أصحاب الحرف وبزيادة العدد نشأت نقابات على غرار ما كان فى كنعان وذلك لتغطية الحاجات اليومية — تلك الحاجات الاقتصادية التى نشأت نتيجة التطور الاقتصادى عند اليهود .

٤ — إطلاق كلمة كنعانى بمعنى تاجر .

لم يكن عند اليهود لفظ يفيد معنى التاجر وازيادة دهشتهم من قيام الكنعانى بعمله التجارى وسمعته الحسنة بين الناس ومعرفة الدول لما للكنعانى من أثر كبير فى التجارة — أطلق اليهود اسم كنعانى على التاجر وهذا اعتراف صريح بتأثر اليهود بحضارة كنعان ، وتقدم فنون التجارة عند الكنعانيين .

أما لفظ التاجر فقد استمد معناه من كلمة تفيد « الذى يجىء ويذهب وأصلها من معنى القافلة التى كانت تجوب البلاد وتحملها الجمال على يد المديانيين والاسماعيليين والعرب فى الوقت الذى كانت التجارة فى يد الكنعانيين ولم يكن اليهود يعرفونها فنظروا إلى الكنعانى واعتبروه هو التاجر وأطلق اسم كنعانى على كل تاجر(١) .

---

(١) Histoire de la Civilisation d'Israil Par Alfred Bertholet P. 245.

فينقية

أضحى الفينقيون سادة البحر المتوسط ولم يكتفوا بنقل التجارة بل فى الصناعة أيضاً فكانت لهم مصنوعات عديدة مثل صناعة الزجاج والمعادن كما احتكروا لأنفسهم مادة الصباغة الأرجوانية التى استخرجوا مادتها من حيوان بحرى رخوى يكثر بالقرب من شواطئهم[1] .

وقد وصلت فينقيا أمام النبي زكريا سنة ٥٢٠ ق. م إلى درجة كبيرة من الثراء حتى إنه يقول عن مبلغ ثرائها « إن الفضة فيها كالتراب وكان الذهب كالوحل فى الطرقات » .

يقول سترابون المؤرخ عن مبانيها . « إن بيوتها من طبقات كثيرة بل إنها أكثر طبقات من بيوت روما[2] »

إضراب العمال :

يظن علماء الاقتصاد فى العصر الحديث أن نظام الاضراب فى الصناعة لم يعرف إلا فى العصر الحديث وأنه نشأ نتيجة الانقلاب الصناعى وما نشأ عنه من تغير فى نظام الطبقات وما يتبعه من فوارق اجتماعية بين أصحاب رؤوس الأموال وبين العمال . إلا أن التاريخ يثبت خطأ تلك النظرية إذ أننا بالاطلاع على ماوصلت إليه دول الشرق القديم وخاصة فينقية نجد أن العمال عرفت الاضراب والمطالبة بحقوقها قبل أصحاب العمل وإليك الدليل .

« ولقد بلغ التنظيم الصناعى والتجارى فى فينقية أن العمال كانوا من القوة والتنظيم أنهم كانوا يعمدون إلى الحصول على حقوقهم بطرق مازلنا نقرأ عنها فى أحدث النظم الاقتصادية وهى الاضراب فنحن نقرأ أن عمال صناعة البناء نظموا لهم اتحادات قوية وتحدثنا النقوش عن اضراب الخبازين فى بجنيزيا[3]

(١) و (٢) قصة الحضارة ص ٣١٢ و ٣١٧

(٣) قصة الحضارة ص ٣١٧

الآراميون

كان للآرامين فضل كبير على اليهود فى تعليمهم فنون التجارة وذلك كما يظهر لنا مما يأتى :ـ

١ ـ كانت التجارة وقت عصر الملك سليمان فى أيديهم وعند انقسام المملكة اليهودية إلى قسمين كان مركز إسرائيل فى الشمال أحسن بكثير من المملكة الجنوبية لقربها من دمشق عاصمة الآراميين .

٢ ـ بلغ من أثر الآراميين على اليهود فى الناحية التجارية ما جعل النبى أشعيا يغضب ويثور للعلاقات التجارية بين إسرائيل والآراميين لأنه لايحبذ التجارة .

ثم يزداد غضباً بل ويصدم صدمة عنيفة عندما علم أن هناك اتفاقات عقدت مع الأجانب وكان سبب هذه الغضبة وتلك الثورة هى اعتقاده أن هذه الاتفاقات تؤدى إلى نشر الوثنية .

ولكن الحقيقة هى أن هذه الاتفاقات تدل على تأخر اليهود التجارى .

٣ ـ كانت آرام تقيم أسواقا فى إسرائيل لأن اليهود لم يكونوا قد بلغوا شأوا يذكر فى الناحية التجارية فكانت هذه الأسواق بمثابة معارض أو معاهد لليهود يتعلمون منها الفنون التجارية ولكى يحصلوا على حاجاتهم منها .

كيف انتقلت حضارة بابل إلى اليهود :

قلنا إن بابل كانت على درجة كبيرة من الحضارة وقد نقل عنها كثير من الأمم واستفادوا وأفادوا غيرهم مما نقلوا .

ولكن هل نقل اليهود عن حضارة بابل ؟

إن اليهود نقلوا الكثير وهذه حقيقة لا مراء فيها ، واليهود لاينكرون ذلك كما أن المؤرخين يؤيدون أن اليهود نقلوا عن الحضارة البابلية وما جاء في التوراة الحالية والتلمود وما اكتشف من آثار قديمة يؤيد ذلك .

كيف كان انتقال الحضارة البابلية إلى اليهود وما مظاهر ذلك ؟

انتقلت حضارة بابل أولا إلى كنعان واجاريت ونوزى ثم فينقيا ومنها انتقلت إلى اليهود .

مظاهر النقل :

(ا) نقل اليهود عن بابل وغيرها من الدول القديمة أنواع الأوزان مثل المن والتالنت والقيراط .

(ب) كلمة (العربون) وهو مايدفع كجزء من ثمن الصفقة مقدماً .

(حـ) نقل الفينيقيون عن بابل القوانين الخاصة بالتجارة البحرية وعنها نقلت اليونان ومازلنا نستعمل كلمة عوار والألفاظ الخاصة بالشحن البحرى مثل عوار وحبل avare, cable .

(د) نقل السوريون العرف والتقاليد إلى الأمم التى كانوا ينتقلون إليها وتعلم اليهود ذلك عنهم ومنهم .

(هـ) الشاقل وهو عبارة عن عملة استعملها البابليون ثم انتقلت إلى كنعان وعنها نقل اليهود هذه العملة [١].

لم يكن الشعب اليهودى متحضراً بل كان متأخراً عن غيره من الدول وقد يدعى بعض علماء اليهود عكس ذلك ويقولون أنهم شعب متحضر فلن يسعنا إلا أن نرد عليهم بما جاء فى كتبهم هم حتى يكون ذلك أوقع فى النفس وأقوى دليلا فنقول :

Munaments, facts and Higher eriteccl fancie by A. H. sayce (١)

١ — كانوا شعبا رعاة بينما نرى بابل دولة بلغت من الحضارة شأواً عظيما وذلك يظهر فيما يأتى :

١ — الرهن : يقول القانون البابلى «لا ترهن ثور المدين إذا لم يكن عنده غيره» بينما يقول القانون اليهودى «لا ترهن عباءة المدين إذا جاء الليل» .

فالمشرع الذى منع رهن الثور إنما يشرع لبيئة زراعية متقدمة بينما المشرع اليهودى الذى يشرع لبيئة رعاة يلتحفون العباءة ليلا .

٢ — كانت بابل بلداً تجارياً وزراعياً لذا حافظت على الملكية الزراعية والثروة بخلاف اليهود الذين لا يهتمون بعلاقتهم بالدولة وإنما يعمل كل فرد لمصلحته لأنهم شعب رعاة .

٣ — عرف البابليون الوصية للابن المحبوب لتقدم الحضارة عندهم بينما لم يعرفها اليهود لأنهم شعب رعاة .

٤ — عرف البابليون فن الطب والبيطرة لأنهم كانوا متحضرين بينما لم يعرف ذلك اليهود لأنهم رعاة .

هل نظمت الديانة الموسوية

بعض النظم المتعلقة بالتجـــارة

بينا فيما سبق أن التوراة ورجال الدين والمؤرخين أثبتوا لنا أن التجارة كان منظوراً إليها بعين الريبة وأنهـا لم تنل رضا الكثير من الأنبياء وعلماء التلمود وإن كان منهم من شجعوا العمل فيها ، واعتبروه عملا شريفاً إلا أن هذا التشجيع وذلك المدح قليل جداً إذا قيس بمـا جاء من أقوال فى ذم التجارة ومعارضة العمل فيها .

وقد رأينـا أنه من الواجب علينا أن نقدم للقارىء بعض ما جاء بشأن تشجيع التجارة كما جاء فى كتبهم وعلى لسان بعض علمائهم :

١ — منعت الشريعة أن يستخدم الإنسان الأوزان الناقصة والمزيفة وحفظاً لحقوق المشترى قالت إنه يجب خصم نسبة ١٠/. فى السائل و ١/٣٠٠ من الأصناف الجافة .

وهذا يعتبر من القواعد المنظمة للتجارة .

٢ — البيع بالجزاف :

٣ — رفع الأسعار والمضاربة : لم يحبذ رجال الدين Rabbis رفع سعر السوق بالمضاربات وقالوا إن من يرفع السعر بالمضاربة مثل المرابى ومثل من يخون فى الميزان(١).

٤ — تنظيم التجارة الداخليـة والخارجية :

قال علمـاء التلمود إنه ليس للإنسان أن يصدر أى محصول إلى الخارج ولو كان المحصول من حقله بل يجب أن يطرحه فى السوق المحلى .

وقد يكون الغرض من هذا التقييد فى التصدير هو حفظ الإنتاج للسوق المحلى حتى إذا حدث إعصار أو جفاف فإن البلاد لن تقع فى مجاعة أو أزمة .

٥ — يجب ألا يزيد ربح التاجر عن ١/٦ القيمة .

٦ — على الأجانب أن يخرجوا من السوق حتى لا يؤثروا على السوق المحلى.

٧ — إذا أتت واردات من الخارج فيجب ألا تمنع وخصوصاً إذا كانت بها بضائع للسيدات (٢) .

٨ — هنـاك بعض ملوك شجعوا التجارة أمثال سليمان وآحاب وعزيا ويهوشفاط .

٩ — اشتغل بعض رجال الدين بالتجارة فكان الحاخام اليعازر بن أزاريا يشتغل بتجارة النبيذ .

---

(١) Jewist Ency art-Police Laws-

(٢) International et Bibilical Eney.

الباب السادس

التجارة عنـــد اليهود

منـــذ عصر الملك سليمان

التجارة فى عصر سليمان

يرى بعض المؤرخين أن التجارة لم تبدأ عند اليهود إلا فى عهد الملك سليمان لأنها لم تكن تعرف صناعة ما قبله فلم تكن تعرف مثلا صناعة الأسلحة أو صناعة البناء .

أما فى عصر الملك سليمان فقد ظهر النشاط التجارى بشكل واسع وعلى نطاق ملحوظ فى الداخل والخارج على شكل أسواق ومعاهدات تجارية ، فقد عقد الملك سليمان عدة معاهدات مع مصر وسبأ وآرام ونتيجة هذه المعاهدات هو زيادة دخل بلاده .

مظاهر النشاط التجارى فى عهد سليمان

١ — حالة أورشليم التجارية :

أصبحت أورشليم أيام سليمان من أنشط الأسواق التجارية فى الشرق الأدنى وإن لم تكن على الطرق التجارية الكبرى وحافظ سليمان على ما أنشأه داود من صلات ودية مع حيرام ملك صور وشجع التجار الفينقيين على أن يسيروا قوافلهم التجارية عبر أرض فلسطين ، وازدهرت فى أيامه تجارة رابحة قوامها استبدال مصنوعات صور وصيدا بغلات (إسرائيل) الزراعية وأنشأ أسطولا تجارياً فى البحر الأحمر وأغرى حيرام على أن تستخدم هذا الطريق الجديد بدل طريق مصر فى تجارته مع بلاد العرب وإفريقية [1].

ولم يكن عند اليهود حتى عصر سليمان شىء من الصناعات غير صناعتى الخزف والحديد وحتى الزراعة نفسها لم ترق رقياً كبيراً وكانت الكثرة

---

(١) قصة الحضارة تأليف ول ديورانت الجزء الثانى من المجلد الأول ترجمة محمد بدران .

العظمى من الشعب منصرفة إلى تربية الضأن والماشية وزراعة الكروم والزيتون والتين وكان أغلب معيشتهم فى الخيام لا فى البيوت المبنية حتى لايجدوا صعوبة فى انتجاع مراع جديدة ولما نمت ثروتهم وزاد ما ينتجونه على حاجاتهم بدأوا يتجرون وأخذت السلع اليهودية تروج فى دمشق وصور وصيدا وقامت بينهم مصارف كبيرة العدد لتمويل التجارة والمشروعات الاقتصادية المشهورة .

٢ — الاتفاقات الكثيرة بينه وبين الدول الأخرى كالاتفاقات بينه وبين آرام ومصر فالاتفاق مع آرام أدى إلى إنشاء أسواق فى إسرائيل بينما الاتفاق مع مصر كان لاستيراد الخيول المصرية ، وهذا مما يزيد حركة التجارة بين البلدان وبين بعضها البعض .

٣ — الاتفاق مع فينقيا :

وهذا الاتفاق كان بمقتضاه أن تمر القوافل الفنيقية بفلسطين بدلا من أن تمر ببلاد أخرى فزادت التجارة بينهما .

٤ — اتفق الملك سليمان مع آرام على تسيير القوافل التجارية عبر فلسطين بدلا من سيرها فى الأراضى المصرية .

٥ — أنشأ أسطولا فى البحر الأحمر ليجلب البضائع من الجنوب وليأتى بالذهب من أوفير .

٦ — اتصل بملكة سبأ وإن لم تعرف أن معاهدة قامت بينهما ونزلت ضيفاً عليه إلا أن التاريخ لم يفصح عن أن علاقة تجارية قامت بينهما .

٧ — نقلت اليهود النظم المالية التى كانت معروفة عند الآراميين والفينقيين منذ زمن بعيد .

عصر سليمان

هل يعتبر عصر تجارى حقيقة

يرى بعض المؤرخين وخصوصاً اليهود منهم أن عصر سليمان كان عصر تجارة وأن مملكته بلغت شأواً كبيراً ومركزاً عظيما فى التجارة إلا أنى أخالف هؤلاء المؤرخين لأن عصر سليمان لم يكن عصر تجارة بالمعنى المعروف بل كان أشبه بموجة انتهت بعد فترة قصيرة أو كعاصفة هبت ثم انتهت وذلك للأسباب الآتية :

١ — توصف الدولة بأنها تجارية — إذا كان الشعب هو الذى يقوم بالتجارة وأن يكون دخل الشعب بدرجة تعادل على الأقل ٣٠٪ من دخله حتى يمكن أن نقول إن التجارة تلعب دوراً هاماً فى حياة الشعب الاقتصادية ولكن الحال لم يكن كذلك فى عصر سليمان إذ كانت الحكومة هى التى تقوم بالتجارة .

٢ — أن التجارة إذا كانت بيد الشعب فإنها تكون فى الغالب مهنة دائمة لاتنتهى لأن الشعب باق بينما لو كانت التجارة فى يد الحكومة فإنها قد تنهار بعد فترة قصيرة وذلك بانتهاء الحكومة وهذا ماحدث فى عصر سليمان إذ أنه بعد وفاة الملك سليمان انقسمت المملكة على بعضها وضعفت التجارة .

٣ — على أساس ما بيناه فإننا نرى أن النشاط التجارى فى عصر سليمان لم يدم إلا فى عصره فقط لأن القائم بالتجارة كانت الحكومة وليس الشعب ولهذا ضعفت الحركة التجارية بموت الملك سليمان .

٤ — أن التجارة فى عصر سليمان كانت فى أيدى الفينقيين وكانوا هم الذين يقومون بالتصدير والاستيراد .

٥ — أن القائمين ببناء السفن كانوا من أهل صور وصيدا(١) .

٦ — انقسام المملكة بعد وفاة الملك سليمان عجل بضعف التجارة وانهيارها .

٧ — كان الانتاج الزراعى فى زيادة مستمرة وكان هناك فائض وكان هذا الفائض يصدر إلى الخارج فزادت الحركة التجارية ولما هبط الإنتاج هبط التصدير .

٨ — إنه وإن كانت الحركة التجارية قد زادت فى عهد الملك سليمان إلا أن طرق القوافل كانت فى يد الفلسطيبيين وبعد موت الملك سليمان لم يتمكن اليهود من الاستمرار فى التجارة لأن الفلسطينيين كانوا مسيطرين على هذه الطرق ثم ضعفت التجارة بعد سليمان الملك .

٩ — المعاهدات بين الملك سليمان وصور وصيدا انتهت بانتهاء حكم الملك سليمان .

١٠ — كانت التجاره مصدراً من مصادر الدخل أى أنها كانت سلاحاً يستعمل لزيادة إيراد الدولة ولم تكن مهنة الشعب فانتهى هذا المصدر بانتهاء سليمان وحكمه .

١١ — كل مظاهر التجارة فى إسرائيل كانت فى يد الأجانب والدليل على ذلك أن الملك سليمان أنشأ أحياء خاصة للتجار الأجانب ليقيموا فيها كما أنشأ معابد للأجانب ليباشروا فيها شؤونهم الدينية .

١٢ — إن أجاب الملك فطلب من الآراميين أن ينشؤا حوانيت فى دمشق كما طلب ملك دمشق سابقاً إنشاء حوانيت فى إسرائيل .

---

(١) يمكن أن تقرأ « العلاقة بين الملك سليمان وأهل صور فى سفر الملوك الأول» اصحاح ٥ و ٩ و ١٠ وسفر اخبار الأيام الثانى الاصحاح ٨ الآية ١٧ والاصحاح ٩ الآية ١٤

١٣ – أن الأدوميين كانوا فى وفاق مع سليمان إلا أنهم ثاروا على اليهود بعد موته فقطعوا طرق القوافل فضعفت تجارة إسرائيل وظل الأدوميون يقومون هم بنقل البضائع ويستفيدون من مركزهم حتى استولى عليهم الآراميون .

١٤ – يرى بعض المؤرخين أن عهد سليمان لم يكن عهد تجارة لأن التجارة قامت على أساس حلف بين الملك سليمان وحيرام ملك صور . كان اليهود فى هذا الحلف بصفة شركاء فقط وليس لهم أن يدبروا شيئاً لأن اليهود لا يعرفون شيئاً عن التجارة وإنما كان لهم حق الحصول على إتاوة كما كان يفعل المماليك فى مصر .

١٥ – التجارة مع مصر كانت تجارة خارجية وكانت مصر تصدر الخيول فلما مات الملك سليمان هبطت التجارة بينهما .

١٦ – لم يكن الشعب الاسرائيلى قد بلغ شأوا فى الصناعة بينما كان الفلسطينيون هم الذين يقومون بها وخاصة صناعة النسيج ، وكان جهل الاسرائيليين بالصناعة سبباً فى ضعف حركة التجارة .

١٧ – كان معظم غنى الملك سليمان نتيجة فرض الضرائب على القوافل المارة باسرائيل .

١٨ – إن المعاهدات والمعاملات التى قامت بين سبأ والملك سليمان لم تدم طويلا إذ أنها ضعفت بعد موت الملك سليمان وهذا دليل على عدم ثبات قدم اليهود فى التجارة فى عهد سليمان .

١٩ – لم تكن التجارة البحرية ناجحة وذلك لأن الفلسطينيين كانوا على الساحل ولم يكن لليهود ميناء بحرى فى ذلك العصر .

الحياة فى إسرائيل اجتماعيا وزراعيا ودينيا[1]

كان الإسرائيليون فى عهد ماقبل موسى رعاة متنقلين يعتمدون على الرعى وكانت ممتلكاتهم هى الخيمة والأوعية التى يأكلون فيها والقطيع الذى يرعونه.

أما الأرض فلم تكن ملكا لهم لأنهم ينتقلون منها وإليها وكانت الأرض ملكا للجماعة وليست لأحد فكانت اشتراكية بينهم وكانت الأرض تقسم بين كل عائلة مدة وهى كما كانت سائدة فى مؤاب قبل أن تكون فى إسرائيل ولذلك فى إسرائيل ولذلك يقول العلامة A. Iussen (حوش) « ليس لأحد أن يستقل بالأرض لأنها تقسم بينهم كل سنة أى أن كل قبيلة كانت تأخذ الأرض تقسيما متتاليا (وقد يكون هذا مثل اليوبيل) وقد يكون هذا سبب ألا يغتنى أحد على حساب أحد ومن هنا جاءت فكرة تنظيم الميراث بين القبائل .

٢ — وعندما سكن اليهود كنعان حدث تغير اقتصادى واجتماعى وتحول الاسرائيليون من رعاة إلى زراع دائمين وتحولت الملكية الزراعية إلى ملكية عائلية وهذا ماتشاهده فى قانون زواج امرأة الأخ مثل حالة بوعز وراعوث[2] وأرميا .

كان الغرض من هذا القانون هو عدم خروج الأرض من العائلة وكانت الأرض تقسم كل سنة بين سكان القرية كما جاء فى سفر النبى ميخا[3].

---

(١) Histoire d'Israel Vie Sociale Par Baron Tome 1.

(٢) سفر راعوث إصحاح ٤ آية ٤

(٣) ارميا .

ومن دخول الكنعانيين إلى حكم الملك داود لا نرى أن هناك طبقات فى المجتمع أى لم تر طبقة غنية ولا طبقة فقيرة بل كان معظمهم يعيشون عيشة هادئة بسيطة ولو أن منهم أغنياء بعض الشيء .

ولم يكن الغنى كالذى رأيناه فى حالة نابال الذى كان يمتلك ثلاثة آلاف نعجة وألف جدى كما قص علينا صموئيل الأول ومع ذلك فإننا نرى أن نابال مع غناه هذا عاش عيشه هادئة بسيطة فكان يذهب لحقله ويشتغل ويرعى وراء قطعان له .

ثم حدث تغيير عظيم منذ أن أصبح داود ملكاً على فلسطين كلها وبدأ عهد جديد فى الادارة والتنظيم وبدأوا يشتغلون بالتجارة وقد كانت كل قبيلة قبل ذلك تعيش من إنتاجها الزراعى وما تنتجه من الرعى .

ثم كان عهد الملك سليمان وتطلعه إلى حياة فاخرة مقلداً المصريين والكنعانيين والفينيقيين وإن أصبح له من الموظفين والمديرين والعمال الذين جلبهم وأصبح من الاسرائيليين من اشتغل بالتجارة ونتج عن هذا التغيير ظهور طبقات متباينة فى الغنى والثراء ونشأت طبقة ارستقراطية لها نفوذ فى الإدارة والزراعة والتجارة بينما كانت بجانب هذه الطبقة طبقة العامة وكانت مسخرة للعمل للطبقة الغنية وبذلك ظهرت تغييرات كبيرة فى الناحية الاجتماعية والاقتصادية (وذلك بظهور طبقات اجتماعية بين السكان) بدلا من أن كان هناك مساواة فى الزراعة والملكية وظهر على شكل طبقة غنية تتحكم وتستفيد وطبقة فقيرة تكسب القوت الضرورى من عرق جبينها وأخذت هذه الفروق تثبت حتى إذا ما توفى سليمان كانت هذه قد أخذت لها مجرى آخر

ثم إن الضرائب الباهظة التى طولبت بها الطبقات الفقيرة والتى قاسى منها الفقراء أدت إلى قيام الحرب بين الاسرائيليين والتى نتج عنها انقسام اليهود على بعضهم ثم انقسام الدولة إلى شمالية وجنوبية .

التجارة من عصر سليمان حتى السبي البابلي

(منذ القرن التاسع حتى السادس ق . م)

يمتاز العصر الذى تلا عصر سليمان حتى السبي البابلي بظهور بعض الأنبياء الذين وقفوا ضد تقدم التجارة وعارضوا التعامل التجارى ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ذموا القائمين بالأعمال التجارية سواء كانوا أفراداً أودولا .

ويعتبر القرنان الثامن والسابع قبل الميلاد من العصور التى شاهدنا فيها بعض الأنبياء ينذرون إسرائيل بالويل والمصائب لأنها أخذت تتعامل مع الدول الأخرى تجارياً .

الحالة التجارية فى إسرائيل منذ عصر سليمان :

قلنا إن عصر سليمان لم يكن عصراً تجارياً بالمعنى الصحيح ولم يمكث أكثر من مدة حكمه .

ولكن ماذا كانت حال التجارة بعد عصره .

إن التجارة فى إسرائيل لم تتقدم بل إنها اعتمدت على الأجانب كالفينقيين والآراميين وغيرهم ويظهر ذلك مما يأتى :

١ ــ لم يكن عند اليهود غير دكاكين صغيرة لاتدل على قيام تجارة واسعة وأن القائمين بتجارة الجملة هم السوريون (الآرميون) .

٢ ــ كانت القوافل التى تمر عبر فلسطين كان يقودها المديانيون والسبأيون والنبطيون والقداريون وغيرهم من الشعوب غير اليهودية حتى إن حزقيال النبي يقول « إن بيت المقدس هو بيت العالم ويقصد بذلك أنه ملتقى الشعوب التجارية [1] » .

---

(١) سفر حزقيال ٣٦

ولم يكن لليهود إلا فرض ضرائب على القوافل التجارية المارة بهم ولم يكن فى فكر الإسرائيلى إلا العمل فى الزراعة[1] .

٣ — إن آحاب الملك عندما انتصر على الآراميين طلب منهم إنشاء حوانيت فى دمشق كما طلب ملك دمشق إنشاء حوانيت فى إسرائيل من قبل .

٤ — كانت إسرائيل بلداً زراعياً وكان الكثير منهم يكرهون التجارة والأجانب كما جاء على لسان النبي هوشع[2] .

٥ — كان الأنبياء يعتبرون الربح من التجارة حرام كما جاء فى سفر هوشع إذ يقول إن التاجر يحمل ميزان الغش والخيانة .

٦ — أن بعض ملوك إسرائيل ويهوذا حاولت القيام بإحياء التجارة البحرية فلم تفلح فمثلا عمل الملك يهوسفاط سفناً لتذهب إلى ترشيش وسفن لتذهب إلى أوفير لتجلب الذهب ولكنها تكسرت عند عصيون جابر وأراد الملك يهوسفاط أن يستنجد بالملك أحزيا إلا أن الحقد منع أحدهما من من مساعدة الآخر ولكن الحقيقة أن الشعب اليهودى لم يكن مارس التجارة البحرية أو إدارة السفن البحرية لأن هذا كان من شأن الفينيقيين وهم سادة البحار .

٧ — يقول حزقيال عن أهل صور إن كثيراً من اليهود أصبحوا أغنياء وهذا دليل على أنهم ليسوا تجاراً وأن غناهم جاء بسبب اتصالهم بأهل صور التجار .

٨ — هجوم بعض الملوك الأجانب على مملكة سليمان عجل بضعفها وبالتالى

(١) سفر التثنية ٢٣/٢٠ ، ٦/١٥

(٢) انظر سفر هوشع إصحاح ٧ آية ٨ وسفر أشعيا إصحاح ٢٣ آية ٨ ودائرة المعارف اليهودية .

ضعف التجارة فيها فنحن نرى أن الملك شيشنق ملك مصر غزاها واستولى على مافيها من ذهب .

كذلك نرى الآشوريين والكلدانيين يستولون على إسرائيل فيخربون مافيها ويحتلونها .

٩ — وقف الأنبياء عاموس وهوشع وأشعيا يثورون ضد الأعمال التجارية[١] التى كان يقوم بها الإسرائيليون فى بعض الأوقات وكذلك التجار الأجانب حتى إن هوشع يعتب على اليهود بقوله :

« حتى أفرايم اليهودى أصبح كنعانيا » أى تاجرا .

ونعى باللائمة على الأجانب الذين نشروا التجارة بين الشعب اليهودى .

١٠ — كانت إسرائيل السوق التجارى لتصريف بضائع الفينيقين الذى كانت التجارة فى أيديهم[٢] .

١١ — مازال الإسرائيليون - حتى بعد العصر الملكى أى حتى السبى - يعترفون بأنهم ليسوا تجاراً وأن الفينيقيين والآراميين والكنعانيين فى الحقيقة هم التجار بدليل أن لفظ كنعانى الذى يفيد معنى تاجر ظل مستعملا بهذا المعنى إلى عصر السبى .

١٢ — لم نلحظ أى نشاط تجارى للمرأة فى هذه الفترة حتى السبى البابلى إذ لم تزاول المرأة التجارة بخلاف ما رأيناه فى قانون حمورابى وكيف كان للمرأة حق مزاولة التجارة .

---

(١) انظر كلام هؤلاء الأنبياء بشأن كرههم للتجارة فى الفصل عن الأنبياء وموقفهم من التجارة فى الباب الثانى .

(٢) المجتمع الإسرائيلى منذ تشريده الدكتور فؤاد حسنين على ص٨٨

١٣ — خلت التثنية (سفر التثنية وهو أحد أجزاء التوراة) من العناية بالتجارة كما لم تتحدث عن تنظيمها بخلاف الحال فى قانون حمورابى وعدم كلام التثنية عن التجارة يدل على أن التجارة لم تكن ذات أهمية فى هذا العصر وإلا استرعت أنظار المشرعين اليهود .

١٤ — إذا حللنا كلام أحد الأنبياء مثل عاموص نجده يعارض العمل فى التجارة بكل قوة ولعل معارضته كانت للأسباب الآتية :

(ا) وجد أن التجارة بدأت تؤثر فى أخلاق اليهود وتجعلها سيئة .

(ب) إن التجارة أضرت بالنظم الدينيـــة حتى أن التجار أصبحوا لا يقدسون يوم السبت بخلاف ما لو كانوا زراعاً فإنهم يحتفلون بهذا اليوم .

(ج) التجار اليهود أصبحوا يختلطون بالأجانب وهم وثنيون وهذه المخالطة تخالف ما تنص عليه التوراة .

عهد السبى

ماذا يقصد بعهد السبى :

عندما غزا نبوخذناصر بلاد اليهود (يهودا) واستولى عليهم سبى أهلها ونقلهم إلى بابل ونفاهم هناك وكان هذا السبى سنة ٥٨٦ ق . م

إلا أن هذا السبى قد سبقه سبى آخر سنة ٧٢٢ ق.م

إذ غزا الآشوريون الجزء الشمالى من إسرائيل (سامريا) ونقل أهلها إلى نينوى وبابل .

أى أن السبى حدث على مرحلتين إلا أن المؤرخين اتفقوا على أن يطلق السبى على السبى الذى حدث سنة ٥٨٦ ق . م على يد الملك الكلدانى نبوخذ ناصر .

وعهد السبي يطلق على الفترة التى نفى فيها اليهود من يهودا إلى بابل وقد أقام اليهود فى بابل حوالى سبعين عاماً .

هل عرف اليهود التجارة أثناء فترة السبي :

بينا أن اليهود عرفت شيئاً عن التجارة فى عصر سليمان .

أما بين عصر سليمان وعصر السبي فلم يقم اليهود بالتجارة . وبينا أسباب ذلك .

إلا أن الحال اختلف فى عصر السبي إذ تمكن اليهود من أن يتعلموا الكثير من فنون التجارة من بابل أثناء مقامهم فيها ، وكما قلنا سابقاً أن بابل هى البلد التجارى وأن أهم الشرائع التجارية صدرت منها .

أثر السبي على اليهود تجاريا

والآن نود أن نقدم شيئاً عما تعلمه اليهود من بابل أثناء السبي :

١ — استعمال الموازين والمكاييل البابلية :

استعملت إسرائيل الشاقل والمن والتالنت ولو أنها كانت مستعملة فى كنعان إلا أن وجود اليهود فى بابل أعطتهم فرصة فى الاطلاع على هذه الموازين بطريقة عملية .

٢ — كان من أثر السبي البابلى على اليهود أن تحولوا من الزراعة إلى الاشتغال بالتجارة إذ تعلموا فنونها نتيجة طول إقامتهم بين أهل بابل .

٣ — عرف اليهود النظم التجارية القائمة فى بابل وقت السبي مثل الشركات والمصارف والحوالات التجارية وغيرها .

٤ — عرفت أسس علم الفلك وقواعد الحساب والنسبة المئوية .

٥ — عرفوا الأعياد الزراعية .

٦ — استعملوا كثيراً من الألفاظ التى كانت مستعملة فى بابل وأدخلوها فى كتبهم ومثل هذه الألفاظ ما يأتى :

(ا) كسف وأصلها Kaspum بمعنى فضة وكانت تستعمل فى بابل منذ بعيد ونقلها اليهود إلى لغتهم بمعنى فضة ثم تطورت بمعنى نقود .

ويقول العلامة بوحارت « إن لفظ كسبم » يقصد به(١) الجزء من سبيكة المعدن حيث إنها كانت تقطع من السبيكة وقد استعمل هذا اللفظ فى اللغة العبرية بمعنى يشترى القمح لأنه عند شراء القمح كان يدفع الثمن بالفضة .

ويظهر أن الفضة كانت تستعمل فى المعاملات الداخلية وكان يطلق عليها Kaspum « كسبم » معدن القمر بينما أطلق على الذهب معدن الشمس .

(ب) صراف : وهى كلمة أكادية سامية الأصل وانتقلت إلى اللغة اليهودية والعربية واليونانية وترجموها إلى ساربيو وأصبحت تفيد معنى « الذى يذيب المعدن والذى يجعله رقيقاً » .

ثم انتقلت من العربية إلى التركية ثم إلى اليونانية أثناء الاحتلال التركى لليونان .

(ج) شولحان : أخذ معنى البنك والترابيزة واعتبروها كمصرف حيث يجلس للصراف بجواره لصرف النقود .

(د) شوتف : معنى شريك ولكن اليهود بعد أن نقلوها عن الآشورية والبابلية قصروها على العضو فى الجماعة الدينية أو شريك فى هيئة لصوص .

(هـ) عمر Omer وهو مكيال بابلى ونقله اليهود فى كتابهم التوراة .

---

(١) Les origines antiques de la Banque de Depot par. Bogaert p. 59.

الأدلة على أن اليهود نقلوا عن بابل أثناء فترة السبي :

١ — تكلمت الأمثال عن علاقة الدين بالتجارة وكيف أن هناك موازين في الآخرة ونحن نعرف أن اليهود لم يكونوا يعرفون شيئاً حتى السبي عن الآخرة أو الحساب والعقاب بعد الموت ولم تتحدث التوراة عن ذلك ولكنهم بدأوا يعرفون ذلك أثناء السبي وفى عهد الاحتلال الفارسي لليهود .

٢ — لم تكن اليهود قبل السبي تعرف النسبة المئوية حسابياً ولكن اليهود أثناء فترة السبي — تعلموها من بابل والدليل على ذلك ماقاله نحميا لليهود فى عتابه لهم « حتى الواحد فى المائة حرام »[١] .

٣ — حصل بعض اليهود على مراكز ممتازة أثناء السبي حتى أن بعضهم رفض العودة إلى بلادهم[٢] لما لاقوه من معاملة حسنة ولما وصلوا إليه من مركز تجارى ممتاز فى الوقت الذى نرى فيه اليهود المقيمين فى إسرائيل يموتون جوعا وكانوا يبيعون أولادهم[٣] .

٤ — أمكن لليهود أن يتعلموا الكثير من العلوم البابلية بفضل معاملة البابليين لهم إذ لم تعاملهم كعبيد ولكنها اكتفت بتحديد إقامتهم وتركتهم يشتغلون فى الأعمال الحرة فتمكن بعضهم من شق طريقهم فى الحياة فكونوا الثروات وهذا دليل على أن اليهود وجدوا تربة خصبة فى بابل .

بنك إيجيبى :

تأسس بنك إيجيبى فى بابل واستمر يقوم بأعماله التجارية ما يقرب من أربعة قرون متتالية من القرن السابع قبل الميلاد إلى الثالث ق . م .

---

(١) سفر نحميا .

(٢) سفر زكريا إصحاح ٦ : ١٠ ، نحميا ١ : ١١ ، ٥ : ١٧

(٣) سفر يوئيل إصحاح ٣ : ٦

قصة اكتشاف هذا البنك وتاريخ إنشائه :

فى سنة ١٨٧٤ ميلادية عثر أحد الأعراب فى أطلال قرية بالعراق تسمى تل عمران على جرار بها آثار مختلفة تدل على وجود بيوت تجارية عريقة القدم وكانت هناك صور معاملات وعقود تجارية ومالية وسفاتج وسندات تخص المعهد التجارى المسمى « إيجيبى وأولاده » Egibi « ويظهر أن مؤسس هذا المعهد كان من ذوى اليسار فى بابل وأن هذا المعهد بقى عدة قرون يقوم بالأعمال التجارية[1] .

وكان هذا البيت المالى يتعاطى الضرائب لحساب الحكومة علاوة على أعماله التجارية المتعددة ويظهر أن صاحب هذا المعهد عاش فى عهد الملك سنحاريب سنة ٦٨٥ ق . م .

وقد أشرك إيجيبى معه أولاده فى أعماله واشتهر من أولاده نبو أجى ادينا وابنه أتى مردوخ بالاتو وحفيده مردوخ نصير أبوللو .

وقد بقى هذا المعهد يقوم بعمله حتى عهد دارا الأول وأن آخر عميد له هو مردوخ نصير أبوللو ويرى بعض المؤرخين أن البنك بقى حتى عهد الاسكندر الأكبر .

ومما يدهش له الانسان أن البنك عاش مايقرب من أربعة قرون وعاصر فترات سياسية مختلفة دون أن يتأثر بالأحداث السياسية التى حدثت قبل انهيار دولة آشور وانتصار الكلدانيين ثم انتصار الفرس على الكلدانيين وغزو الاسكندر الأكبر لهذه البلاد وفى هذا مايدل على أن البابليين كانوا يحترمون التجارة والتجار ويسهلون طرق الأعمال الاقتصادية[2] .

---

(١) نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق للأستاذ يوسف رزق الله غنيمة ص ٥٤

(٢) نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق ص ٥٦

بنك إجيبى هل صاحبه بابلى أم يهودى :

يرى الأستاذ رزق الله غنيمة وجاراه الأستاذ بارون[١] فى كتابه تاريخ إسرائيل أن مؤسس هذا البنك هو رجل يهودى واعتمدا على شىء واحد الا وهو أن كلمة إجيبى قد تكون تصحيحاً لكلمة يعقوب ولم يقدما أى دليل غير هذا الدليل .

وعندى أن هذا خطأ وقع فيه هذان المؤرخان وتمكن أن ينفد رأيهما وتثبت للقارىء أن هذا البنك بابلى وليس يهودياً للأسباب الآتية :

١ — وقع الأستاذ رزق الله غنيمة فى خطأ تاريخى إذ أن الملك الآشورى غزا إسرائيل سنة ٧٢٢ ق . م . وأن الذى أخذ اليهود أسرى إلى الملك الكلدانى سنة ٥٨٦ ق . م .

٢ — أنه باتفاق المؤرخين وكما بينا من قبل أن اليهود حتى السبى لم يكونوا شعباً تجارياً وأنهم تعلموا التجارة من أهل بابل وقت نفيهم فيها وبينما ترى بنك إجيبى أنشىء قبل السبى .

٣ — أن كلمة إجيبى كلمة أشورية وتتكون من كلمتين : E بمعنى بيت gili بمعنى شريف أو سيد[٢] وهذا المعهد كان يملكه رجل معروف ومشهور وكان البنك يعتبر من أكبر بنوك بابل وبذلك سمى المعهد الرئيسى أو البنك الرئيسى .

---

(١) Les origines antiques

(٢) رجعنا فى تحليل هذه الكلمة إلى أستاذنا الجليل الدكتور حسن ظاظا أستاذ اللغة العبرية واللغات السامية ويقول حى = كاومتها كاير أى رئيس ومنها جيبى بمعنى شريف .

٤ — أن اسم أولاد إيجيبي بنو أخي أدينا وحفيده مردوخ هي أسماء بابلية وسميت على اسم آلهة بابل فنيو إله بابلي ومردوخ إله بابلي أيضاً فكيف يتسمى اليهود بأسماء آلهة وثنيين بينما يدعى اليهود أنهم لا يخالطون الوثنيين ولا يتسمون بأسمائهم؟ وهذا دليل على أن إيجيبي وأولاده ليسوا يهوداً.

٥ — كانت هناك بيوت مالية أخرى مثل بيت نورسن Nur sin أى بيت نور القمر وهو أحد أقرباء عائلة إيجيبي فكيف يتسمى اليهودى باسم الاله سن (القمر) والاله سن وثني .

٦ — كان بنك إيجيبي يقوم بتحصيل الأموال والضرائب للحكومة فكيف يعقل أن تعهد الحكومة لأشخاص هم أسرى عندهم ومحدد إقامتهم ولا تثق فيهم؟ من كل ذلك يتضح أن بنك إيجيبي بنك بابلي لا يهودى ...

بنك ماراشو

كان بنك ماراشو فى بابل يعد من أكبر البنوك فهو يضارع بنك إيجيبي إلا أنه اختلف عنه فى قيامه ببعض الأعمال إذ تخصص هذا البنك فى مباشرة النواحى الزراعية .

ذلك أنه كان يقوم بالإقراض الزراعى وتحصيل الأموال الحكومية وقد استمر هذا البنك مدة بعد وفاة مؤسسه وكان أولاده إليل حاتين وإليل سوم اللذين يقومان بإدارة هذا البنك بعد أبيهما .

وكان مركز هذا البنك فى نيبور .

اليهود من السبي حتى ظهور المسيح

خضعت بلاد اليهود لفارس ثم للاسكندر الأكبر ثم البطالسة والسلوقيين ثم الرومان .

وكان لكل من هؤلاء الغزاة نظام خاص فى معاملتهم لهؤلاء اليهود إلا أن المعاملة التى سارت فى معظم الأوقات كانت الضرب بشدة على أيدى هؤلاء اليهود الخونة لأنهم لم يرعوا حق هؤلاء الذين عاملوهم بالحسنى مثل فارس والاسكندر وكانت النتيجة أن طردهم الفرس بعد أن اشتغل اليهود جواسيس لهم ثم تمردوا على اليونان وكان أن هدم اليونان معابدهم ثم قام تيتوس الحاكم الرومانى بهدم « الهيكل الثانى » وهو معبدهم الكبير .

والآن نود أن نذكر بعض ما نقله اليهود أو استفادوه من هذه الدول التى اتصلوا بها فى النواحى التجارية .

اليهود فى الاسكندرية :

كانت الاسكندرية مركزاً تجارياً دولياً فى أواخر القرن الرابع ق . م . وقد بدأ اليهود يفدون إليها وخصوصاً بعد أن سمح البطالسة لهم بالإقامة فى مصر والاسكندرية إلا أن اليهود مع المعاملة الحسنة التى وجدوها من البطالسة لم يرعوا حقوقها وأخذوا يقابلون الإحسان بالإساءة .

هل تعلم اليهود بعض فنون التجارة فى عهد البطالسة :

استفاد اليهود أثناء إقامتهم فى مصر فى عهد البطالسة إذ أن البطالسة وضعوا نظاماً اقتصادياً نقدياً متكاملا وأنشئت المصارف فى جميع أنحاء البلاد وتبين من الوثائق وجود نظام مصرفى متكامل إلا أن المقايضة لم تختف بعد من الحياة التجارية .

وكانت المخازن الحكومية التى تجمع فيها الغلال تعتبر بمثابة مصارف للحسابات الفردية شأنها فى ذلك شأن المصارف المالية حيث كانت تدفع الضرائب النقدية[١] .

ومن أمثلة هذه المعاملة الحسنة أنهم أخذوا امتيازات خاصة مما دعا المؤرخ اليهودى يوسيفوس أن يعترف بذلك فيقول : « كانت البضائع اليهودية تخفض عليها الرسوم » .

وقد اشتغل بعض اليهود فى الاسكندرية بالتجارة وأثروا إثراء كبيراً .

وإن كان للعلامة تشيركوفر ينفى اشتغال اليهود بالتجارة أثناء إقامتهم بالاسكندرية فى عصر البطالسة مكرراً فى ذلك كلام لوسيوس المؤرخ اليهودى .

وهناك مظهر آخر من مظاهر المعاملة الحسنة التى كان يلقاها اليهود من البطالسة هى السماح لهم بتكوين نقابات للعمال اليهود وفى ذلك يقول الدكتور مصطفى عبد العليم ما يأتى :

« إن جموع الصناع كانوا يجلسون فى البيعة أى معبدهم بحسب مهنهم مثل العاملين فى صناعة المعادن والصائغين والنساج والنجارين والحدادين وأن أى يهودى يريد العمل فى مهنة معينة كان يتعين عليه الاتصال بالنقابات المهنية اليهودية » .

ومن المرجح أن طائفة الصناع اليهود كانت تجمع بين العمل فى حرفة معينة وبين التجارة فى السلع التى كانوا يصنعونها فى حوانيتهم[٢] » .

---

(١) مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى تأليف « بل » ترجمة الدكتور عبد اللطيف أحمد على ص ٦٤

(٢) اليهود فى مصر فى عصر البطالسة الدكتور مصطفى عبدالعليم ص ٢٠٩

اليهود خونة فى كل وقت وفى كل مكان

اتصف اليهود فى كل وقت بأنهم يخونون البـــلد الذى يقيمون فيه ولا يرعون مصلحته بل ينكرون فضل الدولة التى تأويهم هذا شأنهم فى التاريخ على طول امتداده .

ولقد شاهدنا ذلك يحدث فى كثير من تلك الدول التى أسكنتهم أرضها وأحسنت إليهم إلا أن هذا لم يغير من طباع هذه الفئة الطاغية .

« وأنت إذا أكرمت اللئيم تمردا » .

سكنت اليهود مصر منذ أن جاء سيدنا يوسف عليه السلام وآواهم الفراعنة وأعطوهم أرضاً لرعى أغنامهم ونالوا خيراً كثيراً إلا أن اليهود لم يقابلوا هذا الإحسان بمثله بل قابلوه بالخيانة والتمرد .

ولكن أهل مصر الكرماء كان قد نفد صبرهم فعملوا على اجتثاث جذور هذه الفئة الخائنة فاتخذت طرقاً عدة لعقابهم :

١ — خصص أهل الاسكندرية لليهود حياً يسكنون فيه ولا يتجاوزونه حتى حصروا فيه وسمى هذا الحى « الحى الرابع » أو حى اليهود وأصبح هذا الحى تحت رقابة الحكومة .

٢ — لم يعط اليهود حق المواطنة وهو الحق الذى يعمل على مساواة أهل الاسكندرية بالأجانب وفى هذا المنع دليل على ما كان يتصف به اليهود من صفات سيئة .

٣ — لم يسمح حاكم الاسكندرية لليهود بتأليف نقابات لهم .

٤ — لم توزع كليوباطرة القمح على اليهود بينما وزعت على غيرهم من الأجانب لأن اليهود خانوا مصر .

التجارة فى عهد المكابيون

من هم المكابيون :

فئة من اليهود ظهرت فى فلسطين فى القرن الثانى قبل الميلاد — وكانت هذه الفئة متمسكة بالطقوس الدينية . وقد وقفت هذه الفئة ضد الحكام اليونان عندما أرادوا نشر بعض الطقوس الدينية اليونانية مما كان سبباً فى قيام الحرب مدة طويلة بينهما — كانت الغلبة فى النهاية لليونان ولما كان موضوعنا هذا لا يتعلق بالناحية السياسية لذا فإننا لن نتوسع فى هذا الموضوع ونكتفى بهذا المختصر .

التجارة أيام المكابيين

انتعشت التجارة نوعاً ما أيام المكابيين وخصوصاً فى عهد شمعون المكابى وذلك لأنه احتل يافا فوجد طريقاً إلى البحر إلا أن هذا الانتعاش لم يستمر طويلا بسبب انتصار اليونان ثم الرومان على المكابيين وكان من مظاهر نشاطهم التجارى أنهم ضربوا النقود واتخذوا من مقابرهم أمكنة كبنوك تودع فيها الأموال .

السلوقيون وعلاقتهم بالتجارة

السلوقيون هم الذين حكموا سوريا وجزءاً من العراق بعد الاسكندر الأكبر والذين كانوا من قواده فلما مات الاسكندر وقسمت أملاكه بين قواده اختص السلوقيون بسوريا وما جاورها مثل فلسطين والعراق كما اختص البطالسة بمصر .

وحاول السلوقيون تشجيع التجارة بشتى الطرق واجتذاب التجار لكى ينافسوا البطالسة فى مصر .

وقد ساعد السلوقيين على تقدم التجارة وجود المدن الفينيقية والتى كانت حتى عهدهم محتفظة بمركزها التجارى ولو أنها فقدت بعض الشىء بسبب فتوحات الاسكندر ومنافسة اليونان لها .

ما هو الدور الذى لعبه اليهود فى هذا الوقت من الناحية التجارية :

يقول الأخ فيليب حتى : « يبدو أن دور اليهود فى هذه النهضة التجارية (أمام السلوقيين) فى سوريا لم يكن أبرز من الدور الذى لعبوه فى أى فترة سابقة أى أنه لم يكن لهم دور يذكر ويعبر عن ذلك فيلسوفهم ومؤرخهم العلامة يوسفوس (٣٧ — ١٠٠) ميلادية بقوله :

« نحن لا نسكن بلاداً ساحلية ولا نسر بالتجارة ولا فى التعامل مع الآخرين »(١) .

وقد نافس السوريون اليهود فى القيام بالأعمال التجارية وتفوقوا عليهم حتى يقال إنه حصل استعمار حقيقى لبلاد البحر المتوسط وخاصة فى القرنين الثانى والثالث قبل الميلاد من قبل Syore السيرى أى السوريون حتى أصبحت السفن السورية تملأ البحر المتوسط .

اليونان والرومان وأثرهما على اليهود فى التجارة

بدأ اليهود بعد العصر اليونانى يدخلون السوق العالمى فنجدهم فى أنطاكية والاسكندرية يباشرون تجارة واسعة .

وأخذ اليهودى يتجول فى أنحاء كثيرة من البلاد فانتقل من آسيا

---

(١) تاريخ سوريا ولبنان — تأليف فيليب حتى . الجزء الأول ص ٣٠٢

الصغرى إلى اليونان إلى أيطاليا وهكذا أخذت مع القوافل التجارية أينما اتجهت .

وظل اليهود يقومون بالتجارة مستفيدين من مغامرات اليونانيين والسوريين فكانوا في العصر الروماني يتبعون خطى السوريين حتى نراهم يقومون بالتجارة في روما حتى القرن الخامس الميلادي إلا أن هذه التجارة لم تكن على نطاق واسع وفي بعض أنواع خاصة من التجارات ذلك أن طائفة منهم اشتغلوا بتجارة التجزئة ولم يكن يسمح لهم بتجارة الجملة .

الباب السابع

الكنيسة ونظرياتها الاقتصادية
فى العصور الوسطى

وأثر ذلك على اليهود من الوجهة التجارية

او

أثر النظريات الاقتصادية المسيحية

على اليهود من الوجهة التجارية

الآراء الاقتصادية المسيحية

فى العصور الوسطى

نادت الكنيسة ببعض الآراء الاقتصادية التى كان لها تأثير ملحوظ على اليهود واشتغالهم بالتجارة .

وأهم هذه الآراء هى :

١ — الربا :

حرمت المسيحية الربا وقد جاء فى الإنجيل[(1)] « وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأى فضل لكم فإن الخطاة يقرضون الخطاة لكى يستردوا منهم المثل بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون أجركم عظيما » كما أنها اعتبرت المرابى عاطلا .

وقد أفسح هذا التحريم المجال لليهود فاستغلوا هذه الفرصة فاشتغلوا بالاقراض بالربا وأصبح هذا العمل مهماً لدى اليهود بينما حرم المسيحيون من هذه الفرصة .

٢ — العمل :

مدحت الكنيسة العمل وشجعته وقالت إن العمل شريف وأن على كل شخص أن يحترف مهنة ليتكسب منها وقد ضربت لنا أمثلة على ذلك فقالت إن السيد المسيح اشتغل نجاراً وأن السيدة مريم العذراء كانت تغزل بيديها .

وقد أمرت المسيحية كل راهب فى الدير أن يقوم بعمل ولا يركن إلى البطالة وإلا فإنه يكون قد خرج على مبادىء الرهبنة .

ومن هنا اتجه المسيحى نحو احتراف أى مهنة غير التجارة والاشتغال بها

---

(١) إنجيل لوقا إصحاح ٦ آيات ٣٤ ، ٣٥

٣ — الزراعة :

اعتبرت المسيحية الزراعة المورد الأساسى للدخل وقالت إن لكل إنسان أن يشتغل بها فهى عمل شريف وقد فضلت الزراعة على التجارة .

أثر ذلك على اليهود :

حرمت الكنيسة على اليهود امتلاك الأراضى الزراعية وبالتالى حرمتهم من الاشتغال بالزراعة وبذلك أغلقت أمامهم أبواب الارتزاق من الزراعة .

٤ — التجارة :

كان للكنيسة وفلاسفتها فى العصور الوسطى — آراء ونظريات ضد التجارة والمتعاملين بها إذ عارض هؤلاء الفلاسفة الأعمال التجارية .

ويظهر ذلك مما يأتى :

١ — قال بعض فلاسفة الكنيسة إن شراء البضاعة لبيعها بربح أمر غير مرغوب فيه ولاشك أن هذا الرأى يؤدى إلى عرقلة التجارة ولا يغرى أحداً على العمل فيها لأن الكنيسة منعت الربح من التجارة .

٢ — إذا اشترى الإنسان بضاعة وأدخل عليها بعض التحسينات ثم باعها بربح فهذا أمر غير مرغوب فيه وبهذا وقفت الكنيسة ضد الصناعة والتجارة معاً .

٣ — نظر رجال الكنيسة إلى التجارة نظرة ريبة فهى خطر على الفضيلة لأنها تؤدى إلى الغش والخيانة وهذه رذائل يجب أن يتجنبها الإنسان كما أنه يصعب على التاجر أن ينطق بالحقيقة فى كثير من الأحايين .

٤ — أن التجارة تؤدى إلى التفكير فى الربح وهذا يبعده عن التفكير فى الدين ولا يمكن لإنسان أن يخدم سيدين .

٥ — أنهم شجعوا الزراعة وفضلوها على التجارة وذلك يظهر فيما يأتى :

(ا) إن كثيراً من التجار يعرتون فى الحروب .

(ب) قد لاتصل الأقوات الآتية من دول أخرى بسبب الحروب أو الكوارث وغيرها مما يؤدى إلى تعطيل ورود البضاعة أو الأقوات .

(ج) قد يكون التجار الأجانب غشاشين فيوردون بضاعة مغشوشة فتضار البلاد منها .

تطور الفكرة عن التجارة عند فلاسفة الكنيسة :

قلنا إن فلاسفة الكنيسة وقفوا ضد التجارة وأبدينا آراءهم إلا أن هذه الفكرة أخذت تتغير شيئاً فشيئاً ودخلت عليها بعض التعديلات الآتية والتى من أجلها هيأت العقول لاعتبار التجارة عملا شريفاً :

١ — قالوا إن التجارة فى حد ذاتها ليست سيئة وإنما السيء هو كيفية تنفيذ الصفقة نفسها وهذا ماقال به القديس سان توماس اكونياس .

٢ — قال المدرسيون (أصحاب نظرية اقتصادية) إن التجارة ضرورية للمجتمعات لأنها سبب فى جلب السلع وإذا حصل التاجر من ورائها على ربح معقول يمكنه من الحياة ويتناسب وتعبه فإن ربحه يكون مشروعا سائغا أما إذا سعى التاجر وراء ربح كثير لايستحقه ويتحول للسعى وراء الثروة فإن التجارة تكون غير معقولة[١] .

٣ — سوغوا للتاجر أن يربح بما يساوى أجر العامل أى أنهم جعلوا التاجر كالعامل .

٤ — نظرية سان توماس اكونياس :

يرى القديس توماس اكونياس إن التجارة عمل شريف والتاجر

---

(١) تاريخ الفكر الاقتصادى — دكتور لبيب شقير .

أن يربح إلا أن هذا الربح يجب ألا يزيد على ما يحتاجه هو وعائلته مراعياً في ذلك الوسط والبيئة والمجتمع الذى يعيش فيه وإذا زاد هذا الربح عن ذلك فيجب أن يوزع الزائد من الربح على الفقراء والمساكين وبذلك سار خطوة جديدة نحو الاعتراف بالربح كما يرغب التاجر إلا أن الزيادة تذهب إلى عمل الخير(١).

نتائج هذا التطور :

بينا كيف تطورت فكرة الكنيسة عن التجارة من تحريم إلى حل الاشتغال بها إلا أن هذا الحل لم يكن مطلقاً بل قيد بشروط إذ لم تسمح لكل الناس الاشتغال بالتجارة فقد حرمت الاشتغال بالتجارة على طوائف وفى ظروف خاصة فمثلا .

١ — لا يشتغل رجال الدين بالتجارة .

٢ — حالة أغنياء الحرب .

٣ — استغلال ظروف الحرب والكوارث(٢).

٤ — منع الطرق غير القانونية التى يتبعها بعض التجار لتنفيذ صفقاتهم التجارية وخصوصاً أيام الحرب .

أسباب اشتغال اليهود بالتجارة منذ العصور الوسطى

هناك عدة أسباب دفعت اليهود إلى الاشتغال بالتجارة وهذه الأسباب متعددة أهمها :

---

(١) رواد الاقتصاد العرب تأليف السيد محمد عاشور.

(٢) an essey on med Ec. Trading by O. Brien.

١ — أسباب اقتصادية :

امتنع المسيحيون عن العمل فى التجارة وذلك إطاعة لأوامر الكنيسة التى حرمت العمل فى الاشتغال فى التجارة فخلا السوق لليهود .

٢ — حرمت الكنيسة الربا ، وانتهز اليهـــود الفرصة فاشتغلوا بالاقراض بالربا .

٣ — حرمت الكنيسة على اليهود امتلاك الأراضى الزراعية فاشتغلوا بالتجارة بدلا من الاشتغال بالزراعة .

٤ — حرمت الكنيسة الوظائف على اليهود فكان لهم أن اتجهوا إلى التجارة .

(ب) أسباب غير اقتصادية :

١ — نشر التربية الروحية بين المسيحيين مما جعلهم يبتعدون عن العمل التجارى والربح الناتج عنه .

٢ — كره المسيحيين لليهود لاختلاف فى الدين .

٣ — لم يكن التعليم قد انتشر انتشاراً واسعاً بين المسيحيين بينما كان كثير من اليهود قد تلقوا العلم فى الجامعات الإسلامية مثل جامعات بغداد ومصر وإسبانيا .

٤ — الأخلاق السيئة التى اتصف بها اليهود .

(ج) أسباب تتعلق باليهود أنفسهم :

١ — انتشار اليهود فى جميع أنحاء أوربا والشرق .

٢ — قيام الحروب الصليبية ونشوء المدن وإقامة اليهود فى المدن والريف واشتغالهم بالتجارة فى هذه الجهات .

٣ — طرد اليهود من اسبانيا فى القرن الخامس عشر الميلادى .

٤ — طرد اليهود من انجلترة فى القرن الثالث عشر الميلادى .

٥ — اكتشاف أمريكا وطريق رأس الرجاء الصالح .

٦ — سماحة الإسلام ومعاملة المسلمين الحسنة لأهل الكتاب (اليهود والمسيحيين).

٧ — المنافسة بين هولندة وانجلترة لاجتذاب اليهود إليهم للانتفاع بهذه الطائفة بعد الاكتشافات الحديثة والتى تحتاج إلى أعداد هائلة من أجناس مختلفة لاستغلال هذه الأراضى الجديدة .

٨ — ظهور الحركة العلمية وانتشارها نتيجة قيام المراكز العلمية فى الدول الإسلامية مثل جامعات بغداد وأسبانيا ومصر ، وأثر هذا التقدم العلمى على اليهود فى النواحى التجارية .

الباب الثامن

اليهود والإقراض بالربا

اليهود والإقراض بالربا

فى الزمن القديم كان يطلق على الكنعانى معنى تاجر أو أن تاجراً يعنى كنعانى ، أما اليوم وفى هذا العصر فإنه يطلق على من يقرض بالربا اسم يهودى .

إن لفظ يهودى يعنى مرابى فإلى أى حد كان هذا المعنى صحيحاً ؟ إننا فى بحثنا لموضوع الاقراض بالربا سيظهر إن شاء الله كيف أن الربا والاقراض به يتعلق كثيراً باليهود .

احترف اليهود الربا منذ العصور الأولى واعتبروه مهنة لهم ووضعوا لها الأسباب والأسانيد المتعددة .

وسنقسم هذا البحث إلى ما يأتى :

الأسباب المتعددة

لاشتغال اليهود بالاقراض بالربا

هناك أسباب متعددة أهمها :

١ — الأسباب الدينية :

لم تحرم التوراة المعروفة على اليهود الاشتغال بالربا إذا أقرضوا غير اليهود فإذا أقرض اليهودى مبلغاً من المال غير يهودى فله أن يحصل منه على ربا .

جاء فى سفر التثنية الإصحاح ٢٣ آية ٢٠ ما يأتى :

(ا) « لاتقرض أخاك بربا — ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء مما يقرض بربا . للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى

يباركك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها لتملكها » .

(ب) ثم تطور الحال وأصبح اليهودى أن يقرض أى يهودى آخر وأصبح الأمر يتساوى عند اليهودى أو غير اليهودى .

وقد أفتى بذلك ابن ميمون كبير علماء اليهود (١) .

(ج) التلمود :

يقول التلمود « إذا أردت أن تقتل الأجنبى بغير أن يثبت عليك علامات القتل فاستعمل الربا » .

ومعنى ذلك أن التلمود يبيح استعمال الربا ويحث عليه .

آسباب تاريخية :

(ا) إتصال اليهود بالدول القديمة ومجاورتهم لها ، ذلك أن اليهود جاوروا الكنعانيين وعرفوا منهم أساليب التجارة والاشتغال بالربا .

كذلك تعلم اليهود أساليب التجارة والاقراض بالربا أثناء فترة السبى من البابليين .

(ب) التشتت :

لقد تفرق اليهود فى كل مكان عند خراب الهيكل الأول سنة ٥٨٦ق.م وخراب الهيكل الثانى سنة ٧٠ م (٢) . واضطروا للاشتغال بالأعمال المختلفة وكان منها الاشتغال بالربا ، وإن كانوا قد اشتغلوا بالزراعة أيضاً ولدينا مثلا واحداً هو يهود خيبر حيث كانوا يقرضون العرب بالربا .

---

(١) كتاب الربا عند اليهود تأليف السيد محمد عاشور ص ٧٠

(٢) انظر هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب الربا تأليف السيد محمد عاشور .

(ج) الكنيسة :

كانت الكنيسة تقف موقف العداء من اليهود فحرمت عليهم امتلاك الأراضى الزراعية وأدى بهم إلى أن يشتغلوا فى أعمـــال تجارية أو الاقراض بالربا .

كما أن الكنيسة حرمت الربا فساعد ذلك اليهود على إنتهاز هذه الفرصة فزادوا نشاطهم فى أعمال الاقراض بالربا ، كما أنهـا حرمت عليهم وظائف الدولة فدعاهم ذلك إلى الأعمال الربوية .

(د) كان بعض الأمراء فى العصور الوسطى يحتاجون إلى أموال كثيرة لسد نفقات الحروب التى كانت تنشأ بينهم وبين جيرانهم .

ولم يكن هؤلاء الأمراء ليجدوا ماهم محتاجين إليـه من أموال إلا عند اليهود فكان الأمراء يقترضون من هؤلاء اليهود بالربا فشجع هذا العمل اليهود على الاستمرار فى أعمال الاقراض بالربا .

(هـ) فداحة الضرائب التى كان اليهود يدفعونها وكذلك المصادرات التى كانوا يتعرضون لها كل هذا أدى بهم إلى تعويض ما كانوا يخسرونه ولم يكن ذلك إلا بالربا .

(و) كان اليهود قد أخذوا فى العصور الوسطى قسطاً كبيراً من العلوم بسبب اختلاطهم بالمسلمين إذ تعلم بعض اليهود فى الجامعات الإسلامية فى إسبانيا وقاموا بالرحلات الكثيرة واستفادوا من ذلك واشتغلوا بالتجارة .

(ز) كره الدول والشعوب لليهود .

(ح) سماحة الدين الاسلامى فقد كان يعطى أهل الذمة حريتهم، إلا أن اليهود لم يراعوا حقوق تلك الحرية .

الأدلة على اشتغال اليهود بالربا

هناك أدلة متعددة على اشتغال اليهود بالربا وهذه الأدلة جاءت على لسان بعض اليهود أنفسهم وبعضها جاء على لسان كثير من المؤرخين وعلى لسان أنبيائهم.

١ — اعتراف اليهود أنفسهم باشتغالهم بالربا :

يقول بعض اليهود إن العالم ينتقدنا ويوجه إلينا اللوم الكثير لأننا نقرض الناس بربا عادى أو بربا فاحش، وهذا النقد الموجه إلينا مردود ؛ ذلك أن الذى دفعنا إلى ذلك هو شعوب العالم نفسها إذ كرهتنا ولم تترك لنا بعض الأعمال لنشتغل بها إذ أغلقت فى وجوهنا كل أبواب الرزق ولم نجد غير باب الاقراض.

آراء المؤرخين :

١ — يقول المؤرخ دى Day

« ولكن وإن كان اليهود قد استفادوا من كونهم مقرضين كبار والطريق فسيح أمامهم إلا أنهم لم يكونوا دائماً فى هدوء أو اطمئنان إذ كثيراً ما تعرضوا للسرقة والنهب من أمراء الاقطاع أو غيرهم ممن يحملون لهم كل ضغينة ».

ويقول أيضاً : إن الكنيسة وإن كانت قد سمحت لهم بالاقراض بفائدة إلا أنها اشترطت عليهم أن تكون الفائدة غير ابتزازية وغير ضارة [١].

يقول المؤرخ هنرى هين فى كتاب اليهود والحياة الاقتصادية.

« ولما اضطر اليهود إلى بيع أراضيهم الزراعية أخذوا يبحثون عن وسيلة رزق فاختاروا التجارة وسرعان ما قامت الحروب الصليبية منها فقاسوا

---

(١) History of Commerce by Day

الكثير ولم يجدوا من وسيلة غير الاشتغال بالإقراض بالربا .

ويضيف المؤرخ قائلا « : إننا إذا قلنا إن اليهود كانوا شعباً تجارياً فى يوم من الأيام فإننا نقصد أنه كان يقوم بالإقراض وليس بالتجارة »[١].

ويقول أيضاً عند الكلام على المهن والسلع التى اشتغل بها اليهود ما يأتى: أنهم يشتغلون بالربا وتجارة الجوهرات والحرير .

٣ — يؤكد كل من نحميا ويوسيفوس وسترابون اشتغال اليهود بالربا ويقول يوسيفوس وسترابون ونحميا « إنهم رأوا الشعب يتعامل بالربا » .

ويعاتب نحميا اليهود على انتشار الربا بينهم[٢] .

٤ — الربا فى عهد النبي عاموس :

كانت حالة إسرائيل فى عهد عاموس فى إنهيار تام سواء فى الأخلاق أو النواحى الاقتصادية أو المساواة الاجتماعية وبدأ الفقراء يزدادون فقراً بينما نرى الأغنياء يزدادون غنى ونرى الفلاح يئن ولا يجد ما يسد رمقه ويصبح فريسة للربا الفاحش ويشكو عاموس من هذه الحالة لأن الإقراض بالربا الفاحش أصبح عنصراً من عناصر الحياة عند اليهود[٣] .

٥ — اشتغل اليهود فى القرن الخامس الميلادى أثناء مقامهم بميناء الأسكندرية بالأقراض بالربا وكان اليهود يكونون جالية قوية تضم الكثيرين من الأثرياء[٤] .

---

(١) Les Juifs et la Vie ec

(٢) سفر نحميا .

(٣) سفر الملوك ثان ١/٤ - ٧

(٤) اليهود فى مصر للدكتور مصطفى عبد العليم ص ٢١٤ .

٦ — اشتغل اليهود المقيمين فى جزيرة الفنتين (الفيلة) بإقراض المال بالربا وعرفوا باحترافهم هذه المهنة وقد جاء فى إحدى البرديات ما يأتى :

« يبدو أن جالية الفنتين كانت تتمتع من الناحية الاقتصادية بقدر من الاستقرار الاقتصادى والرخاء المادى وكان بعض أفرادها يقرضون المال بمقتضى صكوك يثبتون فيها سعر الفائدة »(١) .

وجاء فى بردية من العصر الرومانى ما نصه :

« إن تاجراً إغريقياً حذر زميلا له فى الأسكندرية من اليهود ولعله يقصد تحذيره من المرابين اليهود والمقصود هم يهود الاسكندرية إذ يعملون مرابين ويجنون أرباحاً طائلة من استثمار أموالهم بإقراضها بفوائد باهظة لمن كانوا فى حاجة إليها من رجال الأعمال »(٢) .

وجاء فى كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ما يأتى :

« لدينا شهادة تثبت بجلاء الصعوبة التى واجهتها التجارة الغربية فى رفع سلع الشرق الثمينة نقداً ففى وثيقة من راجوزة مؤرخة سنة ١٥٧٣ نجد ما يدل على أن الفائدة على النقد فى الأسكندرية بمصر بلغت حداً كبيراً حتى أن التجار اليهود كانوا يقرضون التجار المسيحيين الذى حل بهم الضيق بربا فاحش تراوح سعره بين ٣٦ ٪ و ٤٨ ٪ فى السنة »(٣) .

٧ — اليهود فى ناربون :

ناربون مدينة فى فرنسا وقد احتلها قبائل الهون (المتبربرين) فى القرن

---

(١) و (٢) اليهود فى مصر للدكتور مصطفى عبد العليم ص ٢١٤ .

(٣) بحوث فى التاريخ الاقتصادى ص ٨٠ ترجمة الأستاذ توفيق اسكندر .

الخامس الميلادى وكان بها بعض اليهود واستمروا مقيمين بها حتى القرن الرابع عشر الميلادى .

وقد اشتغل اليهود المقيمين بها بالاقراض بالربا وساعدهم على ذلك تحريم الكنيسة الاقراض بالربا .

وقد رفعوا سعر الفائدة حتى وصل ما بين ٤٣ إلى ٥٠ ٪ مما جعل السلطات الحاكمة تتدخل وتحددها بحوالى ٢٠ ٪ (١) .

٨ — اليهود فى مارسيليا :

كان اليهود يقرضون أهل مارسيليا بربا فاحش وبلغت نسبة الفائدة ٣٠ ٪ .

وقد اتبع اليهود طريقة غش وخيانة تدل على المكر الذى اشتهروا به إذ أنهم كانوا يقرضون أهل مارسيليا من جهة ويقترضون من الأهالى من جهة أخرى حتى إذا حدث حادث وهربوا من مارسيليا أو طردوا منها فإنهم لن يخسروا شيئاً .

٩ — اليهود فى عصر صلاح الدين الأيوبى :

عمل اليهود فى عصر صلاح الدين الأيوبى فى الاقراض بالربا وكانوا يقرضون على رهون ويستعملون الصكوك المثبتة لذلك .

(١) Les Juifs de Narbonne P. 98 .

رواية تاجر البندقية

(اليهودى الجشع الذى يقرض بالربا الفاحش)

للشاعر الإنجليزى الشهير «وليم شكسبير»

موجز الرواية :

يريد أحد الأشخاص واسمه بسانيو أن يقترض مبلغاً من المال من صديق له اسمه أنطونيو الرجل التاجر الثرى . إلا أن أنطونيو لم يكن لديه المال فى ذلك الوقت لأن أمواله كلها كانت فى تجارة بضاعة مستوردة من الخارج ولم تصل بعد .

توجه أنطونيو إلى شيلوك اليهودى ليقترض المبلغ خدمة لصديقه بسانيو — قبل اليهودى إقراض المال لأنطونيو ولكن بشرط أنه إذا لم يرد المبلغ والفوائد فى الموعد المحدد فإن شيلوك اليهودى يقتطع من جسم أنطونيو جزءاً قدره رطلا لحماً .

ولسوء حظ أنطونيو جاءت الأخبار بأن السفن التى تحمل بضائعه أصابها الضرر ولن يتمكن أنطونيو من سداد المبلغ ، وفى نفس الوقت طالبه اليهودى إما الدفع أو قطع جزء من لحمه وانتهت الرواية بتمسك اليهودى الجشع بطلبه لولا أن تداركت أنطونيو الأقدار وتغلب على شيلوك .

والنتيجة التى يمكن استخلاصها :

١ — أن اليهود كانوا يقرضون الناس بالربا الفاحش .

٢ — أن اليهود كانوا مكروهين فى دول أوربا كلها سواء فى إيطاليه أو انجلتره أو إسبانيا أو غيرها من الدول .

٣ — كان ذلك فى العصور الوسطى .

٤ — كانت مشكلة الربا من المشاكل الكبرى التى استرعت أنظار الكتاب مثل شكسبير إذ كانت مشكلة اجتماعية دولية وخصوصاً وأن الشعب اليهودى هو الذى عرف بها .

٥ — كرهت شعوب العالم اليهود لأنهم يقرضون العالم بالربا الفاحش .

لماذا كانت اليهود

ترفع سعر الفائدة بنسبة كبيرة

كرهت معظم الدول بل كل الدول اليهود قديماً وحديثاً لأنهم كانوا يقرضون بالربا وزاد كرههم لهؤلاء اليهود الجشعين أنهم كانوا يرفعون سعر الفائدة بنسبة كبيرة كانت تبلغ الخمسين فى المائة فى معظم الأحيان .

لماذا كان اليهود يرفعون سعر الفائدة إلى هذا الحد ؟ ، يجيب معظمهم بما يأتى :

١ — كثرة المصادرات التى كانت تقع على أموالهم وتعويضاً لما كان يضيع منها كانوا يرفعون سعر الفائدة بنسبة كبيرة .

٢ — كانت القناصل يقترضون من هؤلاء اليهود وكان هؤلاء بدورهم يسمحون لهم برفع سعر الفائدة .

٣ — كان أمراء الاقطاع يقترضون من اليهود وكان الأمراء يمنحونهم بعض الامتيازات والتى منها حق رفع سعر الفائدة .

٤ — زيادة فقر بعض الطبقات والتى جعل الكثيرين منهم يقبلون سعر فائدة مرتفع .

٥ — طرد اليهود من البلاد مما جعلهم يعوضون ماقد فقدوه من أموال فى البلاد المطرودين منها .

٦ — تحديد أعمال خاصة لهم مما قلل وجوه استثمار أموالهم ؛ فمثلا لم يكن لهم الحق فى الالتحاق بالوظائف أو الاشتغال بالأعمال الزراعية .

الفصل التاسع

الإسلام وأثره على اليهود

فى الأعمال التجارية

أثر الإسلام على اليهود

فى النواحى الاقتصادية

كان للإسلام فضل كبير على اليهود فى تقدمهم الاقتصادى وذلك يظهر فيما يأتى :

١ — لم يتحدث التوراة عن النواحى الاقتصادية وخصوصا فيما يتعلق بالنواحى التجارية والمالية .

٢ — لم نبين لرجال التلمود أنواع المعاملات التى تقوم من اليهودى وبين الناس من جهة أو بين اليهود أنفسهم وذلك نتيجة التعصب الذى أعماهم عن بحث هذه المواضيع بروح عامة .

٣ — ما جاء به الإسلام من قوانين اقتصادية ونظم مالية كان لها الأثر الجليل فى تقدم علوم الاقتصاد والتجارة وقد بينا ذلك فيما بعد .

٤ — المعاملة الحسنة التى كان يلقاها اليهود من المسلمين وأثر هذه المعاملة فى تقدم اليهود الاقتصادى والتجارى وقد أفردنا لذلك باباً خاصاً وبينا فيه بالأدلة القاطعة التى جاءت على لسان اليهود أنفسهم .

٥ — سوء معاملة كثير من الدول لليهود ومقارنة هذه المعاملة السيئة بما كان يلقاه اليهود من حسن معاملة المسلمين لهم .

وقد قسمنا هذا الباب إلى ثلاثة فصول .

الفصل الأول : تقدم العلوم المالية عند المسلمين .

الفصل الثانى : حسن معاملة المسلمين لليهود وشهادة اليهود أنفسهم بهذه المعاملة الحسنة .

الفصل الثالث : سوء معاملة غير المسلمين لليهود .

١ — النظم المالية فى الإسلام

يعتبر الدين الإسلامى أكثر الأديان اهتماما بالمسائل الاقتصادية والمالية ولعل ما جاء فى القرآن والسنة وآراء الفقهاء والأئمة أكبر دليل على ذلك .

١ — أورد القرآن الكريم فى كثير من آياته القواعد المتعددة عن الديون ووفائها وكيفية إثباتها كما تكلم عن الوفاء بالعهود والعقود والعلاقة بين الشركاء فيما بينهم وبين الآخرين .

٢ — الأحاديث النبوية .

٣ — آراء الفقهاء والأئمة .

وقد كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية وانتشار التجارة ظهور أنواع كثيرة من المعاملات التى أدت إلى ظهور آراء وشرح كثير من هذه المعاملات التجارية .

٤ — اتصال المسلمين بالأجانب مما أدى إلى ايجاد أنواع من التشريعات التى تؤدى إلى حل ما نشأ من هذا الاتصال .

٥ — تسامح المسلمين مع أهل الذمة فقد منح المسلمون لأهل الذمة حقوقا كثيرة فى النواحى المالية .

الأعمال المصرفية :

لم تكن الأعمال المصرفية حدثاً جديداً بشرق البحر المتوسط فقد عرفت منذ أن كان للمسلمين دول فى الشام والعراق ومصر فكان لبلاط الخليفة أو السلطان صرافان رسميان فى حين أن النظام المصرفى فى أوربا لم يتطور

لإخلال الحروب الصليبية بعد أن نقله الأوربيون عن الشرق العربى[1] .

وقد بينا كيف تكلم ناصرخسرو عن نظام المصارف والشيك فى موضع من هذا الفصل وبين كيف كان التعامل المالى يجرى على يد الصراف إذ كان التاجر يعطى المال للصراف ويحصل منه على صك بما وقعه وكلما اشترى بضائع سدد ثمنها بهذه الصكوك محولة على الصراف وهى ماتعرف باسم الشيكات المحولة ، ويبدو أنها كانت أرقى ما وصلت إليه المعاملات المالية فى الدول والولايات الإسلامية وقد نقل الأوربيون هذا النظام ليتطور إلى نوع من التعامل المالى الأرقى وفيها يضمن المتعامل وصاحب رأس المال حقوقه بلاعناء ، ومن هذه الأنواع السفتجات المتطورة وخطابات الضمان والسندات وأذون الدفع كما أنهم كانوا يسجلون هذه الأوراق لدى الموثقين العموميين فى سجلات التوثيق .

وقدعرف الشرق أيضاً منذ وقت بعيد نظام دفاتر أوسجلات الحسابات، بل إن القضاء الإسلامى اعتبر دفاتر الماليين حججاً على أصحابها من تجار وصيارف لاتقبل النقض ، وقد ساد شرق البحر المتوسط التعامل بالسندات المالية والقراطيس بعد أن بدا للناس أنها أفضل الوسائل لحماية أموالهم التى جنوها من التجارة وخاصة الشرقية .

وكان هناك من أنواع هذه السندات ماسمى « السندات المالية المحولة للغير » التى اقترن ظهورها بزيادة النشاط التجارى وكان المسلمون أسبق من الغربيين فى استخدام سندات هذا النوع قد تكون مؤجلة الدفع ولكن

---

(١) طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى تأليف دكتور نعيم زكى فهمى نقلا عن

Ichel, Jewsin the Economic p. 12

(٢) طرق التجارة عن العلامة ابن حجر فى كتابة أنباء الغمر جـ ٢ ص١٢٢ .

ترد دفعة واحدة وقد تكون مقسطة ، وهنا تدخل ضمن خطابات الاعتمادات الائتمانية وردها مقسطة يتطلب استخدام الشبكات المصرفية المعروفة باسم السفاتج وهذه الطرق كما كانوا يقولون ضمنت أموال التجار وأصبح بإمكان التجار إيداع أموالهم لدى صيارف البنوك ويحصلون على سندات بقيمتها واجبة الدفع للمكان القاصدين إليه .

وقد استخدم طائفة من التجار عرفت « بالكارمية » فى مصر هذه الوسيلة فى المعاملات المالية والتجارية وعرفوا التعامل بالنقد والائتمان المصرفى فى نقل الأموال وعقد القروض للسلاطين فى مصر والملوك فى اليمن »[1].

السفتجة :[2]

السفتجة اسم فارسى تطلق على الورقة التى يكتب فيها المقرض للمقترض ليقتضى دينه من بلد آخر لتحرير وثيقة لا حرمة فيها ولا كراهة وهذا ما دعا إليها الاسلام فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » . غير أن السفتجة تتطلب اقتضاء الدين فى بلد آخر وهى

---

(١) طرق التجارة الدولية ومحطاتها للدكتور نعيم زكى ص ٣٤٤ .

(٢) عرف بعض العلماء السفتجة بأنها حوالة وهى من الوسائل التى كثر استعمالها فى الدول الإسلامية .

وعرفها آخرون بأن السفتجة رقعة يكتبها لهم الجهابذة أو الصرافون بقيمة المبالغ التى يأخذونها منهم قابلة للصرف فى أى بلد من عملائهم .

وجاء فى المنجد حول تعريف السفتجة : أن السفتجة هى أن تعطى مالا لرجل فيعطيك خطاً يمكنك من استرداد ذلك المال من عميل له فى مكان آخر (المنجد ص ١٤٠) .

وجاء فى تاج العروس : السفتجة هى أن يعطى الرجل مالا لآخر لآخذه فى بلد المعطى فيوفيه إياه هناك « ثم » فيستفيد من أمن الطريق .

المعروفة الآن باسم الكمبيالة الخارجية وقد عرفها العرب قبل أن يعرفها الاوربيون وغالباً ما تكون لمصلحة المقرض وقد كان ابن عباس رضى الله عنه وهو من الصحابة يتعامل بها فكان يستقرض بالمدينة على أن يرد بالكوفة وهذا انتفاع بالقرض بإسقاط خطر الطريق .

وقد استخدمت هذه السفاتج فى صدر الإسلام بشكل محدود ثم انتشر استعمالها فى القرن الرابع الهجرى وكان الولاة يرسلون ما زاد من دخل الولاية إلى بغداد بسفاتج كما فعل والى مصر والشام سنة ٢١٣ هـ . وشاع استعمال السفاتج بين الأفراد فضلا عن التجار ويذكر العالم المؤرخ التنوخى أنه وصل إلى امرأة من زوجها سفتجة بطى كتاب بمائتى دينار من البصرة فأصلحت حالها بعد طول عناء .

وكانت هذه السفاتج تسحب على التجار بالاضافة على الصرافين لتكون مضمونة ومقبولة وإلا فلا تقبل .

وكان بعض السفاتج تحدد موعد استحقاقها فيذكر التنوخى أن رجلا من بغداد استلم سفتجة من الدينور لأجل أربعين يوما على تاجر فى بغداد أما التى تصرف قبل ميعادها فيأخذ عمولة عليها وقد يكون هذا هو مانسميه اليوم بالحطيطة أو خصم تعجيل الدفع .

وبينما البعض الآخر يصرف فى أى وقت أو مانسميه اليوم بالاطلاع وكان صاحب السفتجة يمكنه أن يسحب نقوده مرة واحدة أو على دفعات وكان لا بد لكل سفتجة لكى تكون صالحة من توقيع أو ختم صاحبها لصراف كان أم تاجر وإلا فتكون باطلة ، وبذلك قامت الصكوك مقام النقود فكان الشخص يشترى المؤن مثلا ويدفع صكا بالثمن وكان الصك يقوم مقام سند الدين على الأشخاص(١).

---

(١) العراق فى العصر البويهى للدكتور محمد حسين الزبيدى ص ٢٢٧ .

استعمال الحوالات والشيكات :

عرف العرب استعمال الحوالات والشيكات وقد تكلم المؤرخون عن ذلك فيما تركوه لنا من كتب وقد قال الرحالة ناصر خسرو أنه كانت هناك مصارف تقوم بالأعمال المالية والتي لو قارناها بالأعمال التي تقوم بها المصارف في عصرنا هذا لوجدنا شبهاً كبيراً بينهما وهذا مما يعد مفخرة للمسلمين .

يقول ناصر خسرو : « إن في أسواق البصرة ثلاثة أسواق تقام في كل يوم وأن رواد تلك السوق كانوا يودعون أموالهم عند أصحاب المالية ويأخذون منهم إقراراً باستلامها ثم يدفعون كل ما يشترونه شيكا أو إذنا يقبض البائع قيمته من صاحب المصرف وهكذا لا يستعمل التجار النقود في معاملاتهم وإنما يستخدمون الشيكات أو أذونات الصرف يدفع قيمتها أصحاب المصارف »(1).

ويقول ناصر خسرو أيضاً : أنه تسلم صكا من تاجر بأسوان بخمسة آلاف درهم معنونا بوكيل تاجر في عيذاب ليتسلمه منه وكان في الصك (اعط ناصرا كل ما يطلبه وقيد الحساب عليه) .

ويحكى ابن حوقل أنه رأى صكا باثنين وأربعين ألف دينار لتاجر في سدنماسة مما يدل على اهتدائهم إلى المعاملات التجارية بطريق الصكوك وكان الصرافون والوكلاء يقومون مقام البنوك .

ويحكى أن سيف الدولة لما ورد إلى بغداد وقت « توزون » اجتاز وهو راكب فرسه وبيده رمحه وبين يديه عبد له صغير وقصد الفرجة وألا يعرفه فاجتاز بشارع دار الرقيق على دور بني خاقان وفيها فتيان فدخل وسمع

---

(١) رواد الاقتصاد العرب تأليف السيد محمد عاشور .

وشرب معهم وهم لا يعرفونه وخدموه ثم استدعى عند خروجه الدواة فكتب رقعة وتركها فيها ثم انصرف ففتحوا الدواة فإذا بالرقعة ألف دينار على بعض الصيارف فتعجبوا وحملوا الرقعة وهم يظنونها ساذجة فأعطاهم الصيرفى الدنانير فى الحال والوقت فسألوه عن الرجل فقال : « سيف الدولة ابن حمدان »(١).

الشيك :

ويقول ناصر خسرو عن نظام البنوك وصرف الشيكات ما يأتى :

وكان الصرافون يجلسون فى سوق واحد يسمى سوق الصرافين (الصيارفة) ولم يكن عن الصراف غنى .

وكان فى سوق البصرة نظام مالى دقيق وهو أن كل من معه مال يعطيه الصراف فيأخذ منه رقاعاً ثم يشترى ما يلزمه ويحول ثمنه على الصراف ولا يعطون شيئاً غير رقاع الصراف طالما كانوا بالمدينة ، ويظهر أن هذا هو أرقى ما وصل إليه التعامل المالى فى الدولة الاسلامية .

ومما له دلالته أن يظهر ذلك فى مدينة البصرة المشهورة بتجارتها والتى تقع على الحدود بين فارس والعراق وذلك لأن أهل البصرة واليمن وأهل فارس كانوا أحسن تجار الدولة الإسلامية وكان لهم جاليات فى جميع البلاد التى تجلب منها التجارة .

نشأة الشركات والبيوتات المالية :

عرف الإسلام الشركات ونظمها وقد تكلم عنها الفقهاء والأئمة المسلمون

---

(١) كتاب تقدم العرب فى العلوم والصناعات تأليف عبد الله بن العباس الجرارى، وكذلك كتاب ظهر الاسلام للأستاذ أحمد أمين .

وكانت الشركات تقوم بأعمال متعددة مثل الأعمال التجارية المختلفة غير المحرمة فى الإسلام .

وكانت هذه الشركات تقوم مقام المصارف فتقبل الودائع وغيرها من الأعمال المصرفية التى أحلها الاسلام .

النظم المالية

أذونات على الحكومة : كانت الحكومة تقترض من الناس بفائدة ثم تدفع كل شهر .

١ استدان الوزير العباسى على بن عيسى مبلغا من المال من بعض التجار على هيئة قرض قيمته عشرة آلاف دينار وكان الضمان هو ضمانات أو أوذنات تحويل سفتجات تدفع فى مواعيد محددة من كل شهر بفائدة ١½ ٪ من الفضة لكل دينار بحيث تصل الفوائد شهريا إلى ٢,٥٠٠ درهم .

٢ — أقرض الكارمية برهان الدين المحلى وشهاب الدين مسلم ونور الدين الخروبى السلطان برقوق مليون درهم لمدافعة تيمورلنك سنة ١٣٩٤ واستلموا من بيت المال صكوك ضمان بالمبلغ على خزينة الدولة على هيئة صكوك أو مساطير كتبها بخطه وبضمانة الأستادار محمود بن على .

آراء الأجانب عن تقدم العلوم والنظم المالية

عند المسلمين وأثرها على أوربا واليهود

لقد كان أثر تقدم المسلمين فى النظم المالية كبيراً على أوربا واليهود إذ بينما نرى التقدم العظيم الذى بلغه المسلمون فى القرن السابع الميلادى حتى القرن العاشر الميلادى كانت أوربا تعيش فى ظلام دامس لا تعرف

شيئاً عن تلك النظم المالية التى وصل إليها المسلمون وقد بين لنا المؤرخون الأجانب مبلغ ما وصل إليه المسلمون فى هذا الفن ويمكن أن نبين ما قاله بعض هؤلاء المؤرخين فيما يلى :

١ – عرف المسلمون المصارف قبل أن تعرفها الدول الأوربية الغربية وقد كان لجها بذة (الصيارفة) العراق فى القرن العاشر الميلادى سمات كثيرة مشتركة مع أصحاب المصارف الجنوبيين فى القرن الثانى عشر وهم أول من تعرف عملياتهم بشىء من التفصيل وعن أصحاب هذه المهنة فى الغرب وإن كانت هذه المعلومات لا تزال لسوء الحظ ناقصة فقد تكون المادة الخاصة ونظام المصرف الإسلامى قبل القرن الثانى عشر أكثر بكثير ولكنها لم تستغل استغلالا تاما[1] .

٢ – لم يقتصر وجود الصيارفة على بغداد وحدها وإنما شمل الكوفة والبصرة فى بغداد ويقول ماسنيون : إن اليهود قد تعلموا أعمال المصارف من صيارفة العراق ، وخاصة صيارفة الكوفة ، وبذلك فلا فضل لليهود فى تقدم فن الصيرفة إذ تعلموه من المسلمين ويزيد المسلمين فخراً أنهم كانوا فى القرن الرابع الهجرى أى العاشر الميلادى فى وقت لم يكن اليهود قد عرفوا عن هذه الأعمال المصرفية اللهم إلا الإقراض بالربا .

٣ – أثبت العلامة جرسهوب أن أول من عرف نظام الحوالات المالية هم العرب وعنهم أخذته أوربا فى القرن العاشر الميلادى عن طريق إسبانيا وإيطاليا وكذلك عند اتصال أوربا بالشرق عن طريق الحروب الصليبية[2] .

---

(١) اليهود فى الحياة الاقتصادية والسياسية للبلاد الإسلامية فى العصور الوسطى نقلا عن كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ترجمة توفيق اسكندر .

(٢) الحضارة الإسلامية تأليف آدم متز وترجمة محمد عبد الهادى أبوريدة.

٤ — يقول العلامة كراندال[١] إن العالم الحديث مدين إلى الإسلام لمعرفة كيفية استعمال الشيكات وخطابات الاعتماد وايصالات الشحن ووثائق النقل وقد نقل الشيك عن الأصل العربي « صك » ثم أدخل عليه تحوير بما يناسب اللغات الأجنبية حتى صار يطلق عليه لفظ شيك .

٥ — أسماء النقود :

سارت الدول الأجنبية على النظام الإسلامي في ضرب وتسمية النقود وهذا دليل على حسن النظام النقدي الذي كان يسير عليه المسلمون ودليل آخر على تفوق المسلمين في النواحي الاقتصادية .

جاء في كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي ما يأتي :

« حين انتزع الحكام الكاثوليك البلاد من المسلمين ضرب ألفونس الثامن في طليطلة سنة ١١٧٨ ميلادية عملة سميت المرابتون morabotine على اسم دولة المرابطين المسلمين الذين حكموا البلاد قبلهم .

وقد حذا النورمان الذين فتحوا جنوب إيطالية وصقلية حذو العرب في نظامهم النقدي الذي كان متبعاً .

كما أن ملوك الغرب West حين أرادوا سك عملة من الذهب قلدوا شكل العملة الاسلامية كما يستدل ذلك من عملة الملك أوفا Offa في مرسيا سنة ٧٣٧ — ٧٩٦ حيث قلدت الدينار الذى أمر بسكه الخليفة العباسى المنصور سنة ٧٥٧ وكذلك في العملة المعروفة باسم النارين التى أصدرتها المدن الايطالية في القرن الحادى عشر الميلادى[٢] .

---

(١) الحضارة الإسلامية تأليف آدم متز وترجمة محمد عبد الهادى أبوريده .

(٢) بحوث في التاريخ الاقتصادى ترجمة الأستاذ توفيق اسكندر ص ٥ .

المنقوشة : أطلقت بعض الدول على بعض عملاتها اسم المنقوشة mangus, mancusus, mancus وهى أسماء عربية بمعنى منقوش وكانت العملة الإسلامية ترسم عليها بعض النقوش .

٦ — الاتحادات التجارية والنقابات :

إن قيام الاتحادات والنقابات دليل على ما وصل إليه التجار من تقدم ووعى ذلك أن أصحاب أى مهنة تحاول دائماً أن تصل بمستوى مهنتها إلى درجة أعلى كما أنها تبذل جهدها للحصول على أكبر منفعة للمشتغلين بالمهنة ولن يتأتى ذلك إلا إذا وصل أصحاب هذه المهنة إلى درجة كبيرة من الوعى والحرية والتقدم الكبير حتى يتمكنوا من المطالبة بحقوقهم ضمن إطار من السلم لاضرر ولا ضرار .

وإذا قلنا أن قيام هذه الاتحادات والنقابات دليل على الوعى الثقافى والفنى والسياسى الذى وصلت إليه الحرف والمهن فإنه يمكننا أن نستنتج ما وصل إليه رجال الأعمال والعمال من وعى وثقافة وحرية فى الدول الإسلامية .

وقد كان قيام الاتحادات والنقابات فى الدول الاسلامية مصباحا اهتدت به الدول الأوربية فيما بعد فتعلمت منه وأخذت عنه وقد أخذ اليهود عن الاسلام هـذه النظم ونشروا أسسها فى أوربا ضمن ما أخذوه من علوم وثقافة .

ويقول العلامة كراندال بشأن هذه الاتحادات والنقابات ما يأتى .

« إن الاسلام كان رائد العالم الحديث فى إنشاء الاتحادات التجارية »(١).

---

(١) الحضارة الإسلامية ـ آدم متز .

وفى عصر الدولة العباسية أنشأ التجار لأول مرة نقابة مسؤولة عن مراقبة المعاملات التجارية ومنع التدليس وكان رئيسها ينتخب من الأعضاء الممتازين ويسمى رئيس التجار كما أن أعضاء النقابة تسمى الأمناء[١].

طرق المحاسبة فى مصر

استلزم التوسع التجارى فى العصور الوسطى وازدياد حجم التجارة بين الشرق والغرب إلى إيجاد نظام دقيق للمحاسبة التجارية وقد عرف هذا النظام بطريقة مبسطة فى الشرق إلا أنها كانت أساساً لما عرف فيما بعد باسم «دفاتر الأستاذ» وقد عرفت الكارمية (طائفة من التجار المسلمين) هذه الدفاتر لتنظيم تجارتهم وذلك قبل الحملات الصليبية واعتبر القضاء الإسلامى دفاتر الماليين حججاً على أصحابها من تجار وصيارف وسماسرة كما كان للخلفاء والسلاطين كتاب يمسكون لهم حساباتهم وكذلك للأفراد العاديين ، ومنذ أواخر القرن الرابع عشر وتنظيم المحاسبة يشمل حساب الدائن والمدين ويقيد حساب كل منهما منفصلا عن الآخر فى دفاتر الأستاذ ويخصص لكل عميل من عملاء التجار حساب خاص فى الدفتر ثم أضيفت فيما بعد بيانات عن الحسابات غير الشخصية ورؤوس الأموال واعتبر بداية لظهور هذه المحاسبات المزدوجة »[١].

---

(١) المبادىء الاقتصادية فى الاسلام للدكتور على عبد الرسول ص ٢٣٥ .

(٢) طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب - دكتور نعيم زكى فهمى ص ٣٥١ .

الكلمات التجارية العربية الأصل والمستعملة

فى اللغات الأجنبية

ظن بعض الاقتصاديين أن اللغة العربية لاتتوفر فيها الألفاظ التى تفى بشئون التجارة والاقتصاد ونحوا باللائمة عليها ناسين أو متناسين أن اللغة العربية أدت دورها وواجبها على أكمل وجه ،ولا أذهب بعيداً بعد أن قال الشاعر حافظ ابراهيم :

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن　　فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

لقد كان للغة العربية أثر كبير على العلوم المختلفة سواء كانت فى الطب أو الكيمياء أو الهندسة أو الجبر أو الموسيقى وغير ذلك من العلوم والفنون ويكفى أن يطلع القارىء على أثر المدنية العربية على أوربا فلا شك أنه سليحظ ماوصلت إليه اللغة العربية من تأثير فى ألفاظ كثيرة كانت اللغة العربية أساساً لها .

قال نوبرجز فى كتابه « تاريخ الطب » نقلا عن رسالة فى الطب العربى للدكتور زكى على « إن المدينة الغربية فى أوج إمبراطورية الإسلام قد فاقت روما القديمة فى حيويتها وتنوعها بينما حضارة الإسلام فى الأندلس احتلت مركزاً يشابه من عدة وجوه حضارة اليونان القديمة» .

كذلك قال داوش فى كتابه تاريخ الطب « إن المدنية الأوربية بل فى الحقيقة إن المدنية الغربية كلها مدينة للمسلمين بميراث حكمة الأقدمين» .

ولكن الذى يهمنا فى هذا الموضوع مدى تأثير اللغة العربية فى الألفاظ التجارية فى اللغات الأجنبية : لقد أخذت اللغات كثيراً من الألفاظ التجارية العربية الأصل وأدخلتها واعتبرت كأنها أصيلة وسواء كان ذلك أصيلا أو

منقولا فإن هذا من دواعى الفخر للغة العربية وما وصلت إليه من قوة وسنبين كيف انتقلت هذه الألفاظ التجارية من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية مبينين الأسباب :

لم يكن انتقال الألفاظ العربية التجارية إلى اللغات الأجنبية دفعة واحدة بل كان فى أوقات مختلفة وبوسائط مختلفة متعددة أهمها :

١ — ظهر الإسلام وامتدت فتوحاته إلى الأندلس غرباً وإلى الصين شرقاً وكان التجار المسلمون الذين عرفوا الأسفار وخبروا الطرق التجارية ومرنوا عليها أخذوا يجوبون هذه الأمصار المختلفة للتجارة فجابوا شمال أوربا وشرقها حتى لتشهد بذلك النقود التى اكتشفها العلماء والتى تدل على المعاملات التى كانت قائمة بذلك بينهم وبين أهل تلك البلاد ، وفى هذا المعنى يقول الأستاذ هايد فى كتابه «التجارة فى الشرق فى العصور الوسطى» ما يأتى : « تمكن العرب التجار من القيام ببعض الأعمال التجارية فى البلاد الشمالية على بحر الخزر والبلاد الواقعة على نهر الفلجا ووصلت قوافلهم وقواربهم على هذا النهر » (١) .

وجاء أيضاً فى نفس الكتاب صفحة ٨٠ الجزء الأول ما يأتى :

« وليس من السهل أن نتتبع العصر الذى وصلت هذه الدراهم إلى هذه الدول والتى عثر عليها فى روسيا والمقاطعات البلطيقية » .

ثم قال المؤلف فى نفس الكتاب ص ٦٦ :

« ورأينا كيف كانت طبيعة هذه الأعمال التجارية بين العرب والبلاد الشمالية ومنها يمكن تحقيق مدى انتشار النقود التى وجدت فى الحفائر وهذه المدة ابتدأت حوالى القرن العشرين الميلادى » (٢) .

---

(١) التجارة فى الشرق فى العصور الوسطى للأستاذ هايد .

(٢) التجارة فى الشرق .

٢ — الحركة العلمية :

شجع الإسلام نشر العلوم والمعارف وبذل الخلفاء جهودهم لتوسيع هذه الدائرة حتى أنه ما كاد يوافى القرن الثامن والتاسع الميلادى إلا وكنت ترى بغداد والأندلس من أكبر المراكز العلمية فى العالم حتى إنه قيل أنه وجد كل فتاة وفتى قد بلغ الثانية عشر من عمره إلا ويعرف القراءة والكتابة وذلك فى وقت كان بارونات أوربا رجالا ونساء لا يكادون يعرفون كتابة أسمائهم بل يقال إن قرطبة فى قمة مجدها فى ظل الإسلام كان بها ثلثمائة وخمس وعشرون ألف مجلد وأصبحت جامعة قرطبة فى القرن الثامن الينبوع الذى تنفجر منه العلوم العربية بجانب هذين المصباحين أعنى بغداد ومصر — كانت مدارس صقلية التى أسسها العرب منذ فتحوها إلى أن استولى عليها النورمانديون فى القرن الحادى عشر بنشر العلوم العربية بين دول الغرب المسيحيين — هذه الحركة العلمية الواسعة الانتشار كان لليهود فضل كبير فى نشرها إلى أواسط أوربا فقد كانوا يقومون بدور المترجمين .

ولقد كانت هناك ألفاظ يحتاج إليها فى الترجمة فلا يجدون ما يقابلها فى اللغة الأوربية فيضطرون إلى استعمال الألفاظ العربية لكى تؤدى المعنى المطلوب وبذلك استخدمت ألفاظ عربية كثيرة صارت بحكم الاستعمال ألفاظاً أصيلة فى اللغات الأخرى .

٣ — السياحة والسفارة :

كانت هناك حركة انتقال بين الدولة الإسلامية وبين الدول المسيحية وكان السفراء ينتقلون بين هذه الدول للقيـــام بمهمات سياسيـة أو اقتصادية .

ومن أمثلة الرحالين أمثال ماركو بولو الرحالة الشهير فى القرن الرابع عشر

والذى جاب الصين وتكلم عن الشرق، ومن الرحالة العرب برى ابن جبير وابن بطوطه وغيرهم ممن درسوا عادات البلاد وأثر اللغة العربيـــة على اللغات الأجنبية .

٤ — الحروب الصليبية :

كثرت الحروب بين المسلمين وأوربا المسيحية حتى ظهر ذلك جلياً فى الحروب الصليبية التى دامت قرنين من الزمان ، ومما يجب ملاحظته أنه حتى قيام هذه الحروب لم تكن القواعد والألفاظ الجارية قد تم تدوينها وتكاملها . فلما اختلط المسلمون بالغرب وأتيح للغرب أن يقف على مبلغ ماوصلت إليه المدنية الإسلامية وطرق المعاملات التجارية ونظمها وأمكن لتجار البندقية وجنوة وغيرهما من المدن الإيطالية الحديثة العهد بالتجارة أن تستفيد من هذه النظم التجارية السائدة فى البلاد الاسلامية واقتبسوا منها العادات والعرف التجارى والألفاظ التى كان التجار يستعملونها فأخذوها ونقلوها إلى لغاتهم الأجنبية ، حتى إن الأستاذ بيجونير وهو من كتاب الغرب يقول كما جاء فى كتاب القانون التجارى للأستاذ الدكتور على الزينى « إن العادات التى أدخلها التجار الإيطاليون فى كل مكان تتكون معظمها من عناصر مستمدة من القانون الرومانى ولو أن منها أيضاً عناصر مأخوذة من عادات العرب والأتراك » .

ولقد أدى التعصب الأعمى بالأستاذ بيجونير أن ينكر الحقيقة وهى أن معظم العادات التجارية المعروفة عند الأجانب إنما هى عربية وليست من القانون الرومانى .

أمثلة للألفاظ التجارية العربية الأصل

والتى انتقلت إلى اللغات الأجنبية

١ — بعض الألفاظ التى تستعمل فى المشروبات :

القهوة — السكر [١] — السنامكى [٢] — الحلبة — الأرز .

حول تاريخ كلمة الأرز : أصلها الهندى «وريهى» ثم نقلت إلى اللغة الإيرانية باسم برزى وعندما غزا الإسكندر المقدونى الشرق نقل إلى اليونانية باسم «اروزا» ومن اليونان نقل إلى العرب فسمى بالعربية «الأرز» ثم حمله العرب إلى الأندلس فسمى بالأسبانية الرز وانتشر من الأندلس إلى البلاد الأوربية الأخرى فسمى بالفرنسية Riz وبالانجليزية «ريس» وبالألمانية رايس وبالايطالية ريزو .

على أن الإنصاف يقتضينا أن نرد على ما جاء بهذا المقال حول كلمة الأرز وتاريخها لأن هناك فرقاً شاسعاً فى النطق العربى والنطق الهندى مما يحتمل أن يكون كلمة الأرز منشأها عربى لا هندى ولا يونانى [٣] .

---

(١) السكر جاء فى مقال نشر فى مجلة ثقافه الهند عدد ديسمبر عام ١٩٥٢ تحت عنوان مساهمة الهند فى قضاء مآرب الإنسان الاقتصادية أن كلمة السكر أصلها هندى إذ أن معناها بالهدية «شركار» ثم انتقل إلى فارس باسم سكر ومنه إلى العرب باسم «سكر» ومن العرب انتقل إلى أوربا باسم : بالفرنسية sucre بالإنجليزية sugar بالاسبانية فأرجو مع القارىء الاطلاع على هذه المجلة . وإنه وإن كان الأصل هندى فللعرب فضل فى انتشار الكلمة والدليل أنها أخذت نصاً وحرفاً عن اللغة العربية .

(٢) سنامكى نوع من النبات يستعمل كمسهل .

(٣) انظر مجلة ثقافة الهند عدد ديسمبر ١٩٥٢ مقال تحت عنوان — مساهمة الهند فى قضاء مآرب الإنسان الاقتصادية ص ٢٣ .

الألفاظ المستعملة فى النسيج :

بلدكانى (١) — موسلين (٢) — قطن — المقارم (٣) .

٣ — الألفاظ المستعملة فى الأسواق :

وأرى أن هذه الكلمة نقلها العرب عن اللفظ الهندى (كلمة بازار) ثم عن اللفظ الفارسى بزاز .

ومعناها : المشتغل بتجارة الأقمشة وأرى أن هذه الكلمة سامية الأصل إذ أن كلمة «بوص» تعنى كتان وانتقلت الكلمة وتحولت إلى بزاز .

مخزن ومعناها بالفرنسية Magasin .

الموازين والمكاييل :

رطل — قنطار — مثقال — أوقية — قيراط — ربع .

فى النقود : .

دانق — بارة روبية — أبو طاقة — دينار — سكة .

فى الأوراق المالية : صك .

فى الضرائب :

عشور — براءة — خراج — ديوان — تعريفة — زكاة

---

(١) بلدكانى اسم القماش المعروف وأخذ من اسم البلد بلدكان وكان يطلق على بغداد (نقلا عن كتاب تجارة العراق قديماً وحديثاً للأستاذ يوسف غنيمة) وهذا الكتاب مطبوع بالعراق ويوجد منه نسخ فى دار الكتب المصرية .

(٢) موسلين : اشتق هذا الاسم من اسم بلدة الموصل فى العراق .

(٣) المقارم اسم قماش — وقد وصفه الجاحظ فى كتابه التبصر بالتجارة فيمكن للقارىء الرجوع إليه .

اصطلاحات تجارية أخرى :

سمسار — بالة — مركب — فلوكة — عوار — دار الصناعة — حبل .

شطر

كلمة شطر معناها فى العبرية : سند أو مسطور ولعل كلمة شطر أخذت من الكلمة العربية سطر ونحن نجد كلمة مسطور استعملت فى العربية بمعنى سند أو كمبيالة ثم نقلها اليهود مما نقلوه من العرب ، وقد جاء فى كتب التاريخ مايثبت أن كلمة مسطور هى بمعنى الدين أو السند أو الكمبيالة « اقترض السلطان برقوق مبلغاً من المال من بعض التجار عام ٧٩٦ ﻫ (١٣٩٣) م وكتب لهم مسطوراً بهذا القرض »

بعض المصطلحات المالية

الجهبذ : هو المصرفى فى الشرق الإسلامى . وجهابذ أى صيارف وهو الخبير بالمال والتجارة معاً ، وهو يكتب الشيكات والسفتجات (الكمبيالات) ويتقاضى على قيامه بالعمل المصرفى عمولة بمعدل درهم لكل دينار (٦,٦٦٪)[1] وقد كان الجهبذ يقوم أيضاً بكتابة السفتجة فى بعض الأحيان وكان السفتجة تستخدم فى حالة الدفع المؤجل (الشكاك) .

« الشكاك » Shukuk [2] يرى بعض المؤرخين أن كلمة شكاك أتت من كلمة شيك أو صك وأن الذى يتعامل بالآجل لابد وأن يكتب على نفسه صكا بقيمة مايدفعه آجلا وبهذا أصبح يقال الدفع بالصك ثم تحولت إلى الدفع بالشيك وللتفرقة بين كلمة الشيك والدفع بالآجل ثم كلمة الصك — والشيك إلى شكاك . وأصبح لدينا كلمتان الشيك أى الدفع بالنقد وكلمة الشكاك أى الدفع بالآجل .

(١) و (٢) هذه النسبة كانت فى العصور الوسطى ص٢٤٥ .

الفصل الثاني

شهادة الأجانب على حسن معاملة المسلمين اليهود

وشهادة اليهود أنفسهم بحسن هذه المعاملة

نأتي الآن بأقوال بعض هؤلاء اليهود وهم :

١ – الرحالة مشولام بن مناحم :

« كان اليهود يعاملون معاملة حسنة في الاسكندرية ولم يكونوا يدفعون ضرائب على بضائعهم بخلاف غيرهم من الدول الأخرى Gentiles الذين كانوا يدفعون عشرة في المائة أضف إلى ذلك أن اليهود كانوا يعيشون عيشة راضية ، وهذا الرحالة - مشولام بن مناحم - هو يهودي الجنس والأصل - زار مصر عام سنة ١٤٨١ في عصر المماليك - يشهد بسماحة الإسلام وحسن معاملة المسلمين لليهود وتمييزهم عن غيرهم في كثير من الاعفاءات المالية وخصوصاً الضرائب والجمارك وهي خير شهادة من أجنبي بل من يهودي وأن هذه الامتيازات التي نالها اليهود أثناء الحكم الإسلامي لتعتبر أكبر مشجع لهم على الاشتغال بالتجارة وعلى منافستهم لغيرهم من الأجناس الأخرى وبهذا العمل الإسلامي المجيد يمكن أن نقول أن المسلمين كانوا من أكبر عوامل تشجيع اليهود للاحتراف بالتجارة .

٢ – بتاحية الرحالة اليهودي :

يقول الرحالة بتاحيا مايأتي :

« بينما لم نجد في فلسطين غير يهودي واحد بسبب اضطهاد الصليبيين اليهود نجد أن ثلاثة آلاف يهودي يسكنون دمشق ، والتي هي تحت حكم المسلمين .

---

(١) The Jewish Travellers by Adler

وكان كذلك بالقاهرة سبعة آلاف يهودى فى الاسكندرية ومثلهم فى الدلتا وستماية فى المدن التجارية بالصعيد .

وهذا يشهد بالمعاملة الحسنة التى كان يلقاها اليهود على يد المسلمين بخلاف المعاملة السيئة لهم من الصليبيين[١] .

وعدم وجود يهود فى جهة ما نتيجة الطرد والقسوة فى المعاملة يتبعها عدم قيامهم بالتجارة فى هـــذا المكان . وبالتالى عدم تشجيعهم على التجارة وهنا يظهر أثر المسلمين على اليهود فى تشجيعهم على التجارة فى دمشق ومصر .

٣ — بنيامين التودلى الرحالة اليهودى :

يقول بنيامين التودلى «إن اليهود كانوا يشتغلون بالصباغة ، وأن الاثنى عشر الذين كانوا يسكنون بيت لحم كانوا صباغين .

ومن هنا يتبين أن المسلمين أعطوا اليهود حرية العمل[٢] .

٤ — يقول المؤرخ آدم متز فى كتابه الحضارة الإسلامية ما يأتى :

« ولم يكن فى التشريع الإسلامى ما يغلق دون أهل الذمة أى باب من أبواب الأعمال وكان قدمهم راسخا فى الصنائع التى تدر ربحاً وافراً فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء ، بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة والجهابذة فى الشام مثلا يهود .

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الجزء الأول ص ٦٢ .

(٢) بنيامين التودلى هو رحالة يهودى زار مصر فى عهد الدولة الأيوبية وتعتبر كتاباته من أهم المراجع التاريخية عن اليهـــود فى الشرق العربى والإسلامى .

وأضاف هذ المؤرخ يقول «كان أصغر دافعي الضرائب من اليهود هم الخياطون والصباغون والأساكفة» (١).

ويقول هـذا المؤرخ أيضاً عن تسامح المسلمين مع اليهود في النواحي التجارية ما يأتي: «وكانت التجارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري مظهراً من مظاهر أبهة الإسلام وصارت هي السيدة في بلادها وكانت سفن المسلمين وقوافلهم تجوب البحار والبلاد وأخذت تجارة المسلمين المكان الأول في التجارة العالمية وكانت الاسكندرية وبغداد اللتان تقرران الأسعار للعالم في ذلك العصر في البضائع الكمالية على الأقل وكان التجار اليهود الذين يأتون من مقاطعة بروفانس بفرنسا يسمون عند المسلمين في القرن الثالث الهجري باسم مجرد «وتجار البحر» وكانوا يجوبون بلاد المسلمين بحرية دون أن يجدوا أية صعوبة.

وفي هذا دليل على تسامح المسلمين مع اليهود وتركهم يقومون بالتجارة بحرية تامة (٢).

وكان لليهود حق إصدار النشرات والكلام بكل حرية وخاصة فيما يتعلق بالضرائب والتجارة الخاصة بهم، وهذا دليل على ما كان يلقاه اليهود من معاملة حسنة من المسلمين لهم.

يقول آدم متز:

ونتبين من قانون نشره رؤساء اليهود بالعراق في عام ٧٨٧ م أن كثيراً من الثروة صار يعتبر ثروة منقولة ويقضي هـــذا القانون بأن تؤخذ الوفاء بتسديد ديون المدين الثروة المنقولة لا الثروة الكبيرة غير المنقولة وحدها.

(١و٢) الحضارة الإسلامية تأليف آدم متز ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة الجزء الثاني / ٢١٢.

وفى عام ٢٦٠هـ (٨٧٤ م) كان يذكر فى ارتفاع العراق (خراج العراق) مقدار الحاصلات من الحنطة والشعير مثلا وما يقابلها بالدراهم [١].

أما عن هذه الحرية التى منحها المسلمون لليهود فيقول هذا المؤرخ ما يأتى « وكان أكبر منافس لأهل العراق وفارس هم اليهود وكانت الحرفة التى اختص بها اليهود فى المشرق أيضاً هى الاتجار بالعملة .

وكان اليهود من الصيارفة يسكنون فى قصبة مصر كما أن منهم من كان لهم الشأن الأول فى صناعة البسط بمدينة تستر بايران وكذلك كان منهم صيارفة [٢] .

٥ — يقول المؤرخ جيمس هامر عن مدى تسامح المسلمين مع اليهود ما يأتى «لقد كان العصر الإسلامى عصر سعادة وهناء لليهود فقد كان الخلفاء متسامحين وكان لهذا أحسن النتائج » .

ونود أن نضيف إلى هذه الأدلة دليلا آخر لما كان يلقاه اليهود من حسن معاملة المسلمين لهم فيما يأتى :

كانت الجزية تؤخذ مقسطة على ستة أجزاء (أقساط) أوخمسة أوأربعة أو ثلاثة أواثنين وقد فرضت فى أول الأمر بالعراق فى كل شهر وذلك لأن عمال المسلمين كانوا يتقاضون فيها مرتباتهم كل شهر ، كذلك كان الحال فى الأندلس فى القرن الثالث الهجرى .

وفى عام ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) صدر أمر الخليفة الطائع بأن تؤخذ الجزية من أهل الذمة فى المحرم من كل سنة بحسب منازلهم وألا تؤخذ من النساء أو ممن لم يبلغ الحلم ولا من ذى سن عالية ولا ذى عاهة بادية ولا من فقير

(١) الحضارة الإسلامية — آدم متز .

An Ancient, Med Modern time by, Hamer p. 138, (٢)

معدم ولا من راهب متبتل وكانت العادة جارية بإعطاء براءة لمن يدفع الجزية .

لم تقتصر معاملة المسلمين الحسنة على اليهود المقيمين فى الشرق الإسلامى بل كان الحكام المسلمون فى أسبانيا يعاملون يهود أسبانيا أيضاً معاملة حسنة وكان لهـــذه المعاملة الحسنة أثر حسن فى نفوس اليهود فأرادوا مقابلة هذا الإحسان بالإحسان فوضعوا أنفسهم تحت خدمة الحكام المسلمين اعترافا بالجميل .

يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن :

وأما اليهود فقد نظروا إلى العرب باعتبارهم شعباً فاتحاً يشاركهم فى جنسهم السامى ورأوا فيه المنقذ لهم من الاضطهاد فوضعوا أنفسهم تحت إمرة العرب الفاتحين فكانوا لهم عيوناً وجواسيس من ذلك أنهم دلوهم على طرق المقاومة فى حروبهم وكشفوا لهم عن طبيعة الأرض واطمأن إليهم العرب وسمحوا لهم بحرية التجارة التى كانت محرمة عليهم قبل الفتح وكذلك حرية الملكية ، وبهـذا أخذت الفئة اليهودية تنتعش وتقوى ولا أدل على ذلك من أن التاريخ الأسبانى قد سجل أسماء الكثيرين منهم من أعلام أسبانيا الإسلامية وضربوا بسهم وافر وما ذلك إلا من تنسم ريح الحرية فى كنف العرب الفاتحين (١).

ابن خرداذبة العالم الجغرافى المسلم :

يقول ابن خرداذبة بشأن تسامح المسلمين مع اليهود :

« إن اليهود يسافرون من المشرق والمغرب وبالعكس براً وبحراً يجلبون

---

(١) تاريخ الإسلام السياسى الجزء الأول ص ٤٩١ . تأليف دكتور حسن ابراهيم حسن .

من المغرب الخدم والجوارى والغلمان ...... ويأتون بتجارتهم فى البلاد الإسلامية »[١].

الإسلام يساعد التجار اليهود :

كان لليهود فى مصر وبلاد الشام جاليات نشيطة فى الأعمال الصناعية والتجارية على ما تفيده المأثورات ولقد كان التجار من الموالى والذميين يسيرون القوافل التجارية بين مختلف الدولة الواسعة دون ما قيود وشروط ويتلقون فيها السلع المتنوعة من غلات الأرض والمصنوعات حسب حاجة الأقطار »[٢].

مظاهر معاملة المسلمين الحسنة لليهود :

١ — كان القراءون وهم إحدى الطوائف اليهودية الكبرى يشتغلون بالصياغة وما زلنا نجد الصاغة حتى يومنا هذا فى حى الجمالية أكثرهم من اليهود القرائين .

٢ — الامتيازات المتعددة التى منحتها الدولة لليهود .

٣ — كان لهم الحق فى السير ليلا على أن يكون فى أيديهم فوانيس .

٤ — ليس لهم أن يعطوا شيئا مما يذبحونه إلا الجلد .

٥ — لهم حق دفن موتاهم فى الجهة التى يرونها[٣] .

٦ — كثرة المعابد اليهودية .

المستشرق جولدتسيهر :[٤]

يقول جولدتسيهر ما يأتى :

---

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة .

(٢) تاريخ الجنس العربى الجزء الثامن ـ محمد عزه دروزه ص ٦٤٦ .

(٣) Jewish Travellers p. 344,

(٤) العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود ، تأليف دكتور على حسنى الخربوطلى ص ٨٧ .

« إنما يشاهد اليوم من تسامح الحكومة الإسلامية يرجع إلى ما كان فى النصف الأول من القرن السابع الميلادى من مبادىء الحرية الدينية التى منحت لأهل الكتاب حق مباشرة أعمالهم الدينية وروح التسامح فى الإسلام قديمة وهى كما جاء فى القرآن الكريم « لا إكراه فى الدين » .

المستشرق آرنولد :

يقول آرنولد « لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن اضطهاد منظم قصد منه استئصال الأديان الأخرى » (١) .

اختيار رئيس مسلم لجاليات أجنبية :

(١) كان من أثر هذا التقدم التجارى والازدهار الاقتصادى الذى الذى بلغته الجاليات الإسلامية فى كثير من الأطراف الذى تغلب عليه غير المسلمين مكان يرأسهم مسلم (٢) .

وهذا دليل على ما كان للمسلمين من تفوق فى الفنون التجارية والثقة فى المعاملات والصدق فى القول والأمانة فى العمل وكل هذه الصفات الحسنة هى التى دفعت بالأجانب إلى أن يثقوا بالتاجر المسلم فينتخبونه رئيساً عليهم فى مجتمعاتهم التجارية وغيرها من المجتمعات كالنقابات والاتحادات .

(٢) شهادة رحالة يهودى :

شهد كثيرون من الرحالة الأجانب بحسن معاملة المسلمين للتجار الأجانب مما قد استلفت نظارهم إلى حسن تلك المعاملة مما دعا الرحالة اليهودى الحاخام بتاحيا أن يشهد بالثقة التى نالها المسلمون التجار .

---

(١) العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود ، تأليف دكتور على حسنى الخربوطلى ص ٨٧ .

(٢) الحضارة الإسلامية الجزء الثانى ص ٣١٥ — ٣٢٩ .

يقول الحاخام بتاحيا مايأتى :

إن المسلمين فى العراق أهل ثقة فكان إذا جاء إلى هناك تاجر وضع أمتعته فى بيت رجل من الناس ورجع فيحملون هذه الأمتعة إلى جميع الأسواق للبيع فإذا دفع فيها ثمنها المقرر كان بها وإلا حملوها إلى جميع السماسرة فإن رأوا بها أقل قيمة باعوها بهذا الثمن القليل وكل هذا مع غاية الأمانة والذمة .

شروط الصلح بين المسلمين واليهود :

نصت شروط الصلح الذى عقده عمرو بن العاص عند فتحه مصر على السماح لليهود بالإقامة فى الأسكندرية مع الاحتفاظ بأموالهم وممتلكاتهم .

وقد كان عددهم فى ذلك الوقت يبلغ حوالى الأربعين ألفا أو سبعين ألفا(١) .

وأما عن حقوق أهل الذمة (النصارى واليهود) لجاء ما يأتى :

« الكف عنهم والحماية لهم ولأهل العهد الأمان على نفوسهم وأموالهم » .

وجاء فى فتوح البلدان للبلاذرى مايأتى :

« عاش المسلمون مع أهل الذمة جنبا إلى جنب فقد كان فى كثير من المدن الإسلامية أحياء لليهود ، وكان المسلمون يتركون لهم دورهم ومعابدهم ومنازلهم وعاشوا جميعا فى سلام »(٢) .

الإسلام يساعد اليهود على الاشتغال بالتجارة :

١ — تعرض اليهود كما تعرض الأجانب إلى بعض القيود إذ جرى منعهم من

(١و٢) العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود تأليف دكتور على الخربوطلى ص ٩٣ .

شراء الحرير الخاص حتى لا يقومون بتهريبه والتمييز العنصرى أهميته فى هذا القرار فالمعروف أن اليهودى فى الدولة البيزنطية وغرب أوربا لم يجز لهم الالتحاق بالنقابات بينما جاز له ذلك فى الدولة الإسلامية والصانع اليهودى فى القرن العاشر الميلادى شهرته بالمهارة فى الصياغة وأقام اليهود فى أنحاء الإمبراطورية البيزنطية على أنهم جاليات أجنبية يقيمون فى أحياء معينة بينما استقر سائر الأجانب فى جهات بعيدة عنهم[1] .

٢ — انشغال المسلمين فى إدارة البلاد المفتوحة .

لاشك أن المسلمين كانوا ولابد أن يديروا تلك البلاد التى فتحوها وشغلتهم إدارة هذه البلاد عن الاشتغال بالتجارة فتركوا بابها مفتوحا لليهود وغيرهم من الأجانب .

ولعلنا نشاهد صحة ذلك عند ما استولى المسلمون على أراضى خيبر إذ ترك المسلمون الأراضى المفتوحة لليهود لزراعتها على أن يتقاسموا الناتج من الأرض .

٣ — كان لليهود حرية اختيار المهنة التى يرغبونها ولم يكن هناك ما يمنعهم من ذلك وكان المسلمون متسامحين معهم .

هذا بخلاف معاملة الكنيسة لليهود إذ كانت تحرم عليهم الاشتغال بالزراعة أو الالتحاق بالوظائف .

كذلك كانت حكومة ثاريون فى أوربا تحرم على اليهود الاشتغال بالتجارة إلا أن بعضا منهم اشتغل فى الريف بتجارة التجزئة فى بعض

---

(١) السيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٤٢ .

الفترات عملا بما نص عليه القانون سنة ١١٩٠ م[٢] .

٤ ــ حرمت الشريعة الإسلامية الربا والتعامل به كما حرمت المضاربة في مواد الطعام ، ولكن اليهود تعدوا حدود الشرع ولم يرعوا حق الإقامة في دولة الإسلام وهذا دليل على تسامح المسلمين مع اليهود ولو أنه مثل هذا حدث في أى دولة أخرى غير إسلامية لنكل باليهود أو عذبوا أشد العذاب أو طردوا كما حدث كثيراً في البلاد الأوربية .

---

(١) اليهود فى ناربون ص ١٩٢ .

الفصل الثالث

سوء معاملة الدول غير الإسلامية لليهود
وأثر ذلك عليهم

قاسى اليهود كثيراً من معاملة الدول غير الإسلامية وكان لتلك المعاملة السيئة أثر سيء عليهم وبالتالى على اشتغالهم بالتجارة بعكس مالاقوه من المعاملة الحسنة من المسلمين والتى كان لها الأثر الحسن عند اليهود وتشجيعهم القيام بالأعمال التجارية.

مظاهر المعاملة السيئة من بعض الدول لليهود :

١ — الفرس :

اشتغل اليهود جواسيس للفرس عندما فتحوا بابل فى القرن الخامس ق.م وظلوا تحت الحكم الفارسى ولكن سرعان ما انقلب الحال وطردهم الفرس لخياناتهم وقد اضطهدهم الملك أردشير مؤسس الدولة الساسانية وسمح للمجوس بتعذيبهم والتنكيل بهم. ثم قام بطردهم وتعذيبهم مرة ثانية الملك يزدجرد الثانى فى سنة ٢٣١م[١].

٢ — أسبانيا :

قامت الحكومة الأسبانية المسيحية بطرد جميع اليهود من أسبانيا فهاجر بعضهم إلى هولندة والبعض الآخر إلى بلاد المغرب وشمال أفريقية وتركيا ولقد عومل هؤلاء اليهود شر معاملة فى أسبانيا بينما عوملوا معاملة حسنة من الدول الإسلامية مما جعلهم يلهجون بالثناء على المسلمين.

٣ — قامت الحكومة الانجليزية فى القرن الثالث عشر الميلادى بطرد

(١) نزهة المشتاق ص ٢٧.

اليهود من البلاد وبعد أربعة قرون سمح لهم بالرجوع إليها مرة ثانية ولا شك أن هذه معاملة من عطف البلاد التى كانت تأويهم .

٤ — الصليبيّون :

كانت السياسة التى جرى عليها الصليبيون فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) تقضى بإفنائهم ويقدر بنيامين النوديلى عدد سكان الحى اليهودى فى القدس بأربعة أشخاص .

بينما قدر بتاحيا الرحالة اليهودى الذى زار القدس عدد اليهود بواحد فقط وكان يشتغل صباغاً .

ويقول المؤرخ بابلو مارسيوس جورجيوس فى خبر يرجع تاريخه إلى سنة ١٢٤٣م « إنه لم يكن فى الحى الخاص بالبندقية فى مدينة صور إلا تسعة شبان من اليهود »[١] .

٥ — مارسيليا وسوء معاملتهم لليهود :

هاجر اليهود إلى مارسيليا بفرنسا بعد طردهم من أسبانيا فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ولكن أهل مارسيليا كانوا يكرهون اليهود لابتزازهم أموال الشعب وإقراضهم بالربا الفاحش فعمدت حكومة وأهل مارسيليا إلى طردهم وعمل تحقيقات متعددة ضدهم ومصادرة أموالهم كما أنهم كانوا لا يسمحون لهم فى بعض الأحيان بالاقامة داخل الدولة بل يسمحون لهم بالاقامة على الحدود خوفاً من إثارة الفتن والقلاقل داخل المدينة[٢] .

---

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى تأليف آدم متز — الجزء الأول .

(٢) Histoire du Commerce de Marseille.

الباب العاشر

الأسباب التى
دعت - أخيراً - اليهود
إلى الاشتغال بالتجارة

الفصل الأول

الأسباب العامة التى دعت اليهود

إلى الاشتغال بالتجارة فى العصور المختلفة

تكلمنا فيما سبق عن أسباب اشتغال اليهود بالتجارة فى العصور الوسطى بسبب موقف الكنيسة المسيحية إزاءهم والآن نبين الأسباب العامة التى دعت اليهود إلى الاشتغال بالتجارة على مر العصور .

١ — قرب البلاد التى كان يسكنها اليهود من الدول التى اشتهرت بممارسة التجارة فقد عرفنا أن اليهود جاوروا الكنعانيين وأنهم نقلوا عنهم الكثير من فنونهم الحضارية والتجارية ، وكما قلنا من قبل إن الأنبياء أطلقوا على الكنعانى لفظ تاجر .

٢ — الاطلاع على الشرائع التى خلفتها لنا الدول القديمة وقد بينا كيف احتوت شرائع أورنمو وحورابى وغيرها من الشرائع المواد الكثيرة المتعلقة بالتجارة .

٣ — دخولهم مصر واستيطانهم فيها عدة قرون وتعلمهم من فنون وعلوم المصريين مما أفادهم كثيراً بعد خروجهم من مصر .

٤ — استخدام الملك سليمان أجانب من فينقيين وآراميين ممن حذقوا فنون التجارة وكانوا كأساتذة لليهود .

٥ — المعاهدات والمحالفات التى عقدها بعض الملوك اليهود مع دول أجنبية .

٦ — السبي البابلى وإقامة اليهود مدة تقرب من السبعين عاما أعطتهم

فترة لا بأس بها من الاطلاع على شرائع البابليين والتي كانت في المكتبات التي اكتشفت حديثا كما أعطتهم التمرين الكافي للاشتغال عمليا بالتجارة مما جعلهم يدونون ماعرفوه في كتبهم ونحن نرى أثر ذلك فيما كتبه نحمية في سفره وهو يتكلم عن النسبة المئوية والتي لم يكن اليهود يعرفونها قبل السبي .

٧ — الفتوحات التي تمت على يد الاسكندر الأكبر وأثر ذلك في اتصال الشرق بالغرب وانتشار اليهود في هذه الأقطار والاستفادة من ذلك تجاريا .

٨ — استيلاء المكابيين على يافا ووصولهم إلى البحر ساعدهم على قيام تجارة بحرية في عهدهم .

٩ — التشتت وهجرة اليهود من فلسطين بعد هدم الهيكل الثاني سنة ٧٠ م على يد تيتوس الحاكم الروماني .

ثم هدم القدس على يد هادريان وتشتت اليهود نهائيا وطردهم من بلاد فلسطين .

هذا التشتت أدى بهم إلى هجرتهم إلى بلاد متعددة واضطروا إلى احتراف مهن مختلفة منها التجارة .

١٠ — موقف الكنيسة موقفاً عدائياً إذ حرمت عليهم الاشتغال بالزراعة أو الالتحاق بالوظائف الحكومية مما جعلهم يتجهون نحو الأعمال التجارية .

١١ — الربا : حرمت الكنيسة الاقراض بالربا بينما لم تحرمه الديانة اليهودية مما أفسح المجال لليهود للتعامل بالربا والاشتغال بالتجارة .

١٢ — الكنيسة والتجارة : نظرت الكنيسة إلى التجارة نظرة ريبة ولم تشجع المسيحيين على الاشتغال بها .

١٣ — طرد اليهود من أسبانيا وهجرتهم منها إلى هولندا وبولندا وانجلترا فتحت المجال للمهاجرين من اليهود للاشتغال بالتجارة .

١٤ — طرد اليهود من انجلترا وفرنسا وألمانيا جعلهم يبحثون عن عمل يرتزقون منه فاشتغل الكثير منهم بالتجارة .

١٥ — اكتشاف أمريكا وهجرة كثير من يهود أوربا فتح المجال أمامهم للعمل فى التجارة .

١٦ — الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ م ، ومنحهم حقوقاً منها حرية العمل والاتجار .

١٧ — منحت بعض المقاطعات الألمانية اليهود سنة ١٨٢٢ م الحق فى الاشتغال بالتجارة .

١٨ — هجرة بعض اليهود مرة أخرى سنة ١٨٨٤ وقيامهم بعمل كتجار متجولين ثم تحولهم إلى تجار جملة .

١٩ — ظهور طبقات اجتماعية نتيجة الانقلاب الصناعى وظهور الرأسمالية وإنشاء البنوك لتمويل المشروعات الكبرى التى نشأت نتيجة الانقلاب الصناعى .

٢٠ — تسامح الإسلام منذ ظهوره مع اليهود الأمر الذى تركهم أحراراً فى بلاد الإسلام وقد فصلنا الكلام عن ذلك فى حينه .

٢١ — التطور الزراعى فى الملكية مما جعل الفرد يتجه نحو التجارة وإن قصة نبايوت خير دليل على ذلك .

٢٢ — بدأ الفرد يقوم بالتجارة عندما بدأ سلطان الأسرة على أفرادها يضعف إذ كلما وجد الفرد أن سلطته تقوى وسلطان الأسرة يضعف فإنه يجد نفسه حراً طليقاً وأنه يمكنه أن يختار الحرفة التى يرغبها بينما لو أن

سلطان الأسرة مازال قويا كما كان فى الماضى فقد يكون ذلك عائقاً للفرد من أن يختار حرفة كالتجارة مثلا .

٢٣ — تقسيم العمل :

كان الانتاج حتى العصور الوسطى جماعيا بمعنى أن الأسرة كانت تنتج معظم ماتحتاج إليه ، ولكن منذ ظهور النهضة العلمية ونمو المدن ، بدأ نظام تقسيم العمل يظهر وبدأ تأثيره يثمر وزاد أثره بظهور آثار الانقلاب الصناعى وأصبح التخصص مظهراً من مظاهر النظام الاقتصادى الحديث .

وأصبحت هناك حرفا لابد من الاشتغال بها وكان من هذه الحرفه حرفة التجارة .

الفصل الثالث

الصفات السيئة التى من أجلها

كره الناس اليهود

اشتهر اليهود بسوء أخلاقهم التى لازمتهم منذ ظهورهم على سطح الأرض واختيارهم اسم اليهود علماً عليهم .

وكانت هذه الصفات تلتصق بهم أينما ذهبوا لأنها ترجع إلى أسباب لن تزول عنهم ماداموا على قيد الحياة وذلك لأن بعضها يرجع إلى ماجاءت به توراتهم المزعومة وما احتوته من أضاليل وترهات وهذه الصفات هى :

١ ــ التعصب الجنسى وماجاءت به التوراة من أنهم شعب الله المختار وأنه ليس لليهودى أن يتعامل مع الشعوب الأخرى ولا يتزاوج منهم .

٢ ــ رجال التلمود الذين بثوا فى نفوس الشعب اليهودى فكرة الاستعلاء وأن الشعوب الأخرى أقل منهم .

٣ ــ معاملة الأجانب : قال علماء الديانة اليهودية إنه يجب أن يكون هناك فرق بين معاملة اليهودى ، ومعاملة غير اليهودى فمثلا فى الاقراض بالربا يجب اقراض اليهودى بدون ربا ، بينما يقرض غير اليهودى بربا .

٤ ــ الانعزالية ومظاهر ذلك .

(ا) عدم التبشير بالديانة اليهودية .

(ب) السكنى فى الجيتو أو حى خاص بهم .

٥ ــ فكرة نقاء الدم اليهودى .

الانعزاليـــة

الانعزالية عند اليهود وهل ما زالت عندهم :

اختلف العلماء فيما بينهم هل انتهت فكرة الانعزالية عنهم أو ما زالت لاصقة بهم وقد أدلى كل فريق بما يؤيد رأيه وها نحن نقدم أدلة كل منهما :

(ا) الفريق القائل بأن الانعزالية أصبحت فكرة منتهية :

١ — إن الملك سليمان قام بعقد اتفاقات ومعاهدات بينه وبين الدول المجاورة له مثل الفنيقيين والآراميين .

٢ — إنه تزوج من كثير من نساء الدول الأجنبية وأقام لهم معابد .

٣ — السبى : أدى إلى اختلاط اليهود بغيرهم من الدول مثل بابل .

٤ — هجرة اليهود إلى مصر أيام السبى فى عهد النبى أرميا وفى أيام البطالسة .

٥ — تشتتهم بعد خراب البيت الثانى وهدم القدس فى أيام حكم الإمبراطور هادريان .

٦ — قيام بعض العلماء اليهود مثل مندلسون فى القرن الثامن عشر الميلادى بمطالبة اليهود بالاندماج مع الأوربيين حتى يتمكنوا من مجاراتهم فى الحياة الحضارية .

كما نادى من قبله العلامة جرشوم فى القرن الخامس عشر بمجاراة الأوربيين فى نظام الزواج بالاكتفاء بزوجة واحدة (١) .

(ب) الآراء التى تدل على تمسك اليهود بالانعزالية :

١ — الجيتو : بقى اليهود يسكنون أحياء خاصة بهم وهى التى أطلق عليها اسم الجيتو ، ولقد بقى الجيتو حتى العصر الحديث ، وهذا دليل على تمسك اليهود بنظرية الانعزالية .

---

(١) الفكر الدينى للدكتور حسن ظاظا .

٢ — لم يكن اليهود يشتركون فى احتفالات الرومان فلم يكونوا يحضرون احتفالاتهم ولا يشتركون فى ما كلهم الأمر الذى جعل الرومان يحقدون عليهم

٣ — لم يشترك اليهود مع اليونان فى كثير من أعيادهم ظناً منهم أنهم أعلى منهم ونتج عن ذلك تلك الحروب التى قامت بين المكابيين (طائفة يهودية) وبين اليونان وانتهت بهزيمة اليهود أخيراً .

٤ — مطالبة بعض علماء اليهود بعدم الاندماج معارضين فى ذلك رأى مندلسون مثل موسى هيس وليون بيسكر

٥ — كثرة الثورات والفتن التى كانوا يقومون بها فى البلاد التى أقاموا بها ومرجعها ميلهم إلى الانعزالية .

٦ — ظهور المسيح ودعوة الناس كافة .

المراجع العربية

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ الانجيل
٣ ـ العهد القديم (التوراة)
٤ ـ تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ تأليف جورج لوفران وترجمة هاشم الحسينى
٥ ـ معالم حضارة الشرق الأدنى القديم للدكتور أبو المحاسن عصفور
٦ ـ الربا عند اليهود تأليف السيد محمد عاشور
٧ ـ العقلية الاسرائيلية تأليف الدكتور حسن ظاظا
٨ ـ تاريخ الفكر الاقتصادى تأليف الدكتور لبيب شقير
٩ ـ مصر من الاسكندر إلى الفتح العربى تأليف الدكتور مصطفى العبادى
١٠ ـ الجنس العربى تأليف محمد عزة دروزة
١١ ـ تاريخ سوريا ولبنان تأليف فيليب حتى
١٢ ـ الساميون فى العصور القديمة تأليف دكتور محمد عبد القادر محمد
١٣ ـ مصر والشرق الأدنى القديم دكتور نجيب ميخائيل إبراهيم
١٤ ـ مركز المرأة فى الشريعة اليهودية تأليف السيد محمد عاشور
١٥ ـ اليهود فى مصر فى عصر البطالسة تأليف دكتور مصطفى عبد العليم
١٦ ـ الأسرة بين الاقتصاد والدين للدكتور ثروت أنيس الأسيوطى
١٧ ـ دائرة المعارف اليهودية
١٨ ـ رسالة ماجستير عن عاموس النبى للأستاذ أحمد عفيفى
١٩ ـ قصة الحضارة تأليف ول د. برانت وترجمة محمد بدران
٢٠ ـ المجتمع الاسرائيلى منذ تشريده للدكتور فؤاد حسنين على
٢١ ـ نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق للأستاذ يوسف رزق الله غنيمة

٢٢ — مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى تأليف « بل » ترجمة الدكتور عبد اللطيف أحمد
٢٣ — رواد الاقتصاد العرب تأليف السيد محمد عاشور
٢٤ — بحوث فى التاريخ الاقتصادى ترجمة توفيق اسكندر
٢٥ — طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى تأليف دكتور نعيم زكى فهمى
٢٦ — العراق فى العصر البويهى للدكتور محمد حسن الزبيدى
٢٧ — تقدم العرب فى العلوم والصناعات تأليف عبد الله بن العباس الجرارى
٢٨ — الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع تأليف آدم متز ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة
٢٩ — المبادىء الاقتصادية فى الاسلام للدكتور على عبد الرسول
٣٠ — مجلة ثقافة الهند عدد ديسمبر سنة ١٩٥٢
٣١ — تاريخ الإسلام السياسى تأليف دكتور حسن إبراهيم حسن
٣٢ — المسالك والممالك لابن خرداذبة
٣٣ — العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهودية للدكتور على حسن الخربوطلى
٣٤ — نهاية الرتبة فى طلب الحسبة للشيزرى

المراجع الأجنبية

1. Prineiples, Practice Commerce by Stephenson.
2. Petite Histoire par Andrè.
3. Histoire Sommaire du Commerce par Rissun.
4. History of Commerce by Day.
5. Histoire Economiqne par Louis Andrè.
6. Les arigines Antiques de la banque de depots par Albert goeret.
7. The Jews in ancient, med, and modern by Hosmer.
8. History of Jews by Milman.
9. The Jews in Ancient, med, and modern by Hammer.
10. History of Economic Thoughts by Haney.
11. Les Juifs et la Vie Economiqùe par Sombart,
12. The Talmud.
13. Petite Histoire des grandes doctorines par Daniel Valley.
14. Histoire de la Civilisation d'Israel par Bertholet.
15. Monuments and Facts by Sayce.
16. International Biblical Ency.
17. Histoire d'Israel, Vie Sociale par Baron.
18. Les Juifs de Narbon.
19. Les Commerce du Levant au moyen ages par Heid.
20. Jewish Travellers by Adler.
21. Histoire de Commerce du Marseille.

مؤلفات الدكتور حسن ظاظا

باللغة الفرنسية :

١ — المصطلح الديني في التوراة مقارناً بترجمته عند العلامة سعد يا الفيومي
٢ — القسم عند الساميين القدماء
٣ — المناهج النحوية العربية وأثرها على العلامة بن جناح

باللغة العبرية :

٤ — دراسات في تأثير الفقه الإسلامي على فقهاء اليهود في العصور الوسطى
٥ — حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل مترجم من العبرية إلى العربية

باللغة العربية :

٦ — القدس مدينة الله أم مدينة داود
٧ — العالم العربي المعاصر ومشاكل الفن التشكيلي
٨ — اللسان والإنسان
٩ — الساميون ولغاتهم
١٠ — كلام العرب
١١ — الفكر الديني الاسرائيلي أطواره مذاهبه
١٢ — إسرائيل ركيزة الاستعمار في العالم الإسلامي
١٣ — الصهيونية العالمية وإسرائيل

تحت الطبع :

١ — تاريخ اليهود عشرة أجزاء
٢ — العقلية الإسرائيلية
٣ — العبريون ومدينة القدس
٤ — معجم الحيوان باللغة العبرية

مؤلفات السيد محمد عاشور

١ – صناعة الكرفتات وتجارتها فى مصر

٢ – الربا عند اليهود

٣ – صناعة وتجارة الأقمشة فى مصر (جزءان)

٤ – دراسة فى الفكر الاقتصادى العربى ـ أبو الفضل جعفر بن على الدمشقى ـ أبو الاقتصاد

٥ – مركز المرأة فى الشريعة اليهودية

٦ – رواد الاقتصاد العرب

تحت الطبع :

١ – التموين فى الإسلام

٢ – قاموس مصطلحات أسماء الأقمشة ـ فى مصر

الفهـــــرس

الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٥/٣٣٨١